

الشاعر معين بسيسو

نبذة

والثانوية في ولد معين بسيسو في مدينة غزة بفلسطين عام ١٩٢٦ ، أنهى علومه الابتدائية كلية غزة عام ١٩٤٨

فيها أول قصائده عام ١٩٤٦ ، التحق سنة بدأ النشر في مجلة " الحرية " اليافاوية ونشر عام ١٩٥٢ من قسم الصحافة وكان ١٩٤٨ بالجامعة الأمريكية في القاهرة ، وتخرج إذاعة الشرق الأدنى " وتدور موضوع رسالته " الكلمة المنطوقة و المسموعة في برامج والكلمة المطبوعة في الصحيفة من حول الحدود الفاصلة بين المذيع والتلفزيون من جهة . جهة أخرى

و الديمقراطية مبكرا، وعمل في الصحافة والتدريس انخرط في العمل الوطني

(يناير) ١٩٥٢ نشر ديوانه الأول (المعركة) وفي ٢٧ كانون الثاني

فترتين الأولى من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٧ والثانية من سجن في المعتقلات المصرية بين ١٩٥٩ إلى ١٩٦٣ .

: الشعرية الفلسطينية والعربية بأعماله التالية أغنى المكتبة أعماله الشعرية :

- المسافر (١٩٥٢م).
- المعركة (دار الفن الحديث، القاهرة، ١٩٥٢م).
- الأردن على الصليب (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م).
- قصائد مصريّة / بالاشتراك (دار الآداب، بيروت، ١٩٦٠م).
- فلسطين في القلب (دار الآداب، بيروت، ١٩٦٠م).
- مراد من السنابل (دار الكاتب العربي ، القاهرة، ١٩٦٧م).
- الأشجار تموت واقفة / شعر (دار الآداب، بيروت، ١٩٦٤م).
- كراسة فلسطين (دار العودة، بيروت، ١٩٦٦م).
- قصائد على زجاج النوافذ (١٩٧٠م).
- جنّت لأدعوك باسمك (وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧١م)
- الآن خذي جسدي كيساً من رمل (فلسطين، بيروت، ١٩٧٦م).
- القصيدة / قصيدة طويلة (دار ابن رشد، تونس، ١٩٨٣م).
- الأعمال الشعرية الكاملة / مجلد واحد (دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م).
- آخر القراصنة من العصافير.
- حينما تُمطر الأحجار.

أعماله المسرحية :

- مأساة جيفارا (دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٩م).
- ثورة الزنج (١٩٧٠م).
- شمشون ودليلة (١٩٧٠م).
- الأعمال المسرحية (دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م) يشمل :
- مأساة جيفارا.
- ثورة الزنج.
- الصخرة.
- العصافير تبني أعشاشها بين الأصابع.
- محاكمة كتاب كلبلة ودمنة.

أعماله النثرية:

- نماذج من الرواية الإسرائيلية المعاصرة (القاهرة، ١٩٧٠م).
- باجس أبو عطوان / قصة (فلسطين الثورة، بيروت، ١٩٧٤م).
- دفاعاً عن البطل (دار العودة، بيروت، ١٩٧٥م).
- البلدوزر / مقالات (مؤسسة الدراسات، ١٩٧٥م).
- دفاتر فلسطينية / مذكرات (بيروت، ١٩٧٨م).
- كتاب الأرض / رحلات (دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م).
- أدب القفز بالمظلات (القاهرة، ١٩٨٢م).
- الاتحاد السوفيتي لي (موسكو، ١٩٨٣م).
- ٨٨ يوماً خلف متاريس بيروت (بيروت، ١٩٨٥).
- عودة الطائر / قصة.
- وطن في القلب / شعر مترجم إلى الروسية - مختارات موسكو.
- يوميات غزة (القاهرة).

و شارك في تحرير جريدة المعركة التي كانت تصدر في بيروت زمن الحصار مع مجموعة كبيرة من الشعراء و الكتاب العرب .
ترجم أدبه إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية ، ولغات الجمهوريات السوفيتية أذربيجان ، أوزباكستان و الإيطالية و الإسبانية و اليابانية و الفيتنامية و الفارسية

حائز على جائزة اللوتس العالمية وكان نائب رئيس تحرير مجلة " اللوتس " التي يصدرها اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا .
حائز على أعلى وسام فلسطيني (درع الثورة) .
كان مسؤولاً للشؤون الثقافية في الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

كان عضو المجلس الوطني الفلسطيني .
استشهد أثناء أداء واجبه الوطني وذلك إثر نوبة قلبية حادة آلمة في لندن يوم ٢٣ / ١ / ١٩٨٤ .

البداية

مقال بقلم رشاد أبو شاوور

عام ١٩٨٤، رحل الشاعر الكبير معين بسيسو في العاصمة البريطانية (لندن)، ولم تكتشف وفاته إلا بعد ١٤ ساعة لأنه كان يعلق علي باب غرفته بالفندق الذي نزل فيه عبارة: الرجاء عدم الإزعاج.

رحل معين بسيسو شاباً في السابعة والخمسين، فهو ولد في (غزة) بتاريخ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٧ .

كان يريد أن ينام، أن يرتاح، ولكن قلبه الذي أجهد نبض نبضات سريعة، ربّما احتجاجاً علي إرهاب الشاعر له، فمدّ معين يده إلي الهاتف يريد طلب المساعدة، ولكن الوقت كان قد فات...

عندما فتح باب الغرفة، وجد الشاعر نائماً، ويده ممدودة إلي الهاتف في مشهد جامد. مفارقة هذه، أن يموت شاعر فلسطيني في (لندن) عاصمة السياسة التي كانت أس المصائب، وأصل النكبة والخراب في فلسطين، وأن لا يحظى بالراحة، ولا يصل نداء استغاثته بطلب العون، ثم ينقل جثمانه ليُدفن في القاهرة، محروماً من دخول غزة ، حتى بعد أن مات، وهذا ما يدل علي مدى حقد عدونا علي الشعر والشعراء.
كأنما هذه حكاية الشعب الفلسطيني، مع فارق أن شعبنا حي، وأنه يمضي علي طريقه،

وأنة يتقوّي بصوت الشاعر، وبالشعر، حذاءً لأمل سيتحقق. معين بسيسو، الفلسطيني، الغزّي، المدفون في ثري مصر الطهور، بين من أحبهم، لم تسمح سلطات الاحتلال الصهيوني لجثمانه بالدخول ليدفن هناك في تراب غزة الذي درجت عليه أقدامه، والشاهد الأول لتفجّر موهبته الشعرية.

حدث في زمن بعيد، أن أخرج أبي يده من تحت عباءته ومدّها وقد طوت كتاباً رقيقاً غير مدرسي، وقال لي محتقياً:

- هذا شعر لمعين بسيسو.

ثمّ طلب منّي أن أقرأ، فقرأت...

كان الأب الأمّي فخوراً برفيقه، رغم أنه لا يعرفه، وكان يريد لابنه أن يحفظ هذا الشعر، وأن يصونه في ذاكرته، فهذا الشعر يصل كالمنشورات السريّة، وهو بذور لا بدّ لها من تربة لتخصب فيها، وتربة الشعر هي النفوس، والعقول...

كبرت، وعرفت من هو هذا الشاعر، وصرت أقرأ شعره دون حثّ من الأب، ولكن بحافز منّي، فشعر معين بسيسو يشدّ العزيمة، ويقوّي المعنويات، وهو قريب إليّ روحي.

ردد أبي وقد حفظ لفرط ما تلوت عليّ مسمعه:

من لم تودّع بنيتها بابتسامتها

إليّ الزنازين لم تحبل ولم تلد

وحفظ عن ظهر قلب:

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

واحمل سلاحي لا يخفك دمي يسيل من السلاح

وكان يدخل السجن، ويخرج، وفي بقيته أنه ينبغي أن يكون ابناً لائقاً، شجاعاً ومفتدياً،

ومضحياً، لتباهي أمّه به، وليعش هو في أفئدة الجماهير مكرّماً، تماماً كما يقول شعر

رفيقه معين بسيسو. هذا شعر يشجّع، يغدّي الروح بالإيمان، يدحر الشعور بالعزلة بعيداً

عن ضمير المناضل المضحيّ، الذي يتعرّض لكل ما يتسبب له بالأذي، والإحباط.

صوتان وصلانا من غزّة: صوته وصوت هارون هاشم رشيد، وبشعرهما عشنا مع

(غزّة) المأساة والمعجزة.

شعرهما انتشر موحّداً مشاعر الفلسطينيين، ومنشئاً صلة وصل بينهم، إن في منافهم

البعيدة، أو في مخيمات اللجوء في الضقة الفلسطينية، وسوريّة، ولبنان.

صورة معين بسيسو وصلت إلينا كما يليق بالشاعر، فهو يتقدّم المظاهرات، بقميص

مفكوك الأزرار عن الصدر، مشرع للاستشهاد، هاتفاً بشعره، رافضاً مع شعبه التوطين

في سيناء، فلا بديل عن فلسطين.

تلك كانت صورة الشاعر، الذي ينتسب إليّ سلالة شعراء، حملوا دمهم عليّ راحتهم،

ومضوا في مقدّمة الصفوف، بكامل عدّتهم: الموهبة الشعرية، الالتزام، حمل المبادئ،

الجاهزية للتضحية، بمصداقية القول المقترن بالفعل. إن دور شعرائنا التثويري،

التثويري، قد دشّن منذ بداية الصراع والاشتباك مع الحركة الصهيونيّة، والاستعمار

البريطاني، والمؤامرات المحليّة المتصاعدة عليّ عروبة فلسطين، وها هم شعراؤنا أحياء

يرزقون بيننا: إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)،

مطلق عبد الخالق، حسن البحيري، نوح إبراهيم الشاعر الشعبي، محمد العدناني، كمال

ناصر، فدوي طوقان، علي فودة، فوّاز عيد... ومن بعد، حين وقعت النكبة، وهيمن اليأس،

والشعور بالعجز، ارتفعت أصوات شعرائنا، حاضرة عليّ الصير، والتشيتت بفلسطين،

والاعتماد عليّ النفس، وفاضحة الخيانة وأسباب الهزيمة والكارثة، ومحرّضة عليّ

مواصلة المعركة.

قد يقال بأن هذا الشعر فيه مباشرة، وتحريض أني، والحق أن تلك المباشرة حملتها مواهب

أصيلة ذكيّة، عرفت كيف تغوص في عمق الحدث، وتستخرج منه قيماً إنسانيّة جوهرية لا

تموت مع الزمن.

ما كان صدفة أن عنوان أحد بواكير أعمال معين بسيسو هو (المعركة)، فشعراء فلسطين قديماً وحديثاً يعيشون في المعركة، وفي نيرانها يكتبون، وهم يكتبون عن الوطن، والشهادة، والبطولة، والتضحية، والحب، والمنفي، والعودة التي ستتحقق، وهم يتأملون في مصائر البشر، والحياة، والكون، فهم لا يغلقون علي أنفسهم، وما هو بغريب أن الفلسطينيين كانوا في مقدمة من ترجم عن الغرب روائع أدبية، وفلسفية... معين بسيسو شاعر معركة، واشتباك، يحيا، ويتألق، ويجوهر في الميدان، بين الناس في أتون المعركة... من عرفه في غزة رآه شاعراً ومناضلاً في الميدان، يتقدم جموع الفلسطينيين الراضين للتوطين في صحراء سيناء، والمطالبين بالتسلح للتصدي لاعتداءات المحتلين الصهاينة، وكانت آنذاك قد ازدادت علي قطاع غزة.

كان معين بسيسو يباهي بأن أهل غزة أفسلوا مشروع التوطين، وكانوا السبب في صفة الأسلحة التشيكية التي أبرمتها مصر الناصرية، ليتمكن جيشها من الرد علي الاعتداءات، وتدشين حقبة العلاقة مع الاتحاد السوفييتي، أي أن هذا التحول الاستراتيجي كان فيه دور بارز لفلسطيني غزة الأباة العنيدون المكافحين.

من عرفوا معين بسيسو آنذاك، رأوه وهو يشرع صدره للبنادق، هاتفاً باسم فلسطين، معلياً من شأن البطولة والتضحية. هنا كان صوت عبد الرحيم محمود يتجاوب، يتناسخ، يتواصل في حنجرة معين وكلماته...

إنه صوت معين بسيسو الذي تحدي قوات العدوان الثلاثي عام ٥٦:

قد أقبلوا فلا مساومة

المجد للمقاومة

لم يكن هذا مجرد شعار، لقد كان قرار حياة، فيه تتجاوب روح عبد الرحيم محمود: فإمّا حياة تسرّ الصديق وإمّا ممات يغيظ العدا يستمدّ شعر (معين) قيمته من أنه يكتنز معني الحياة، كرامتها، قيمتها، في كلمات قليلة، يقولها شاعر أصيل الموهبة، عميق الثقافة، صاحب مبادئ.

من غزة انتشر صوت معين بسيسو في بلاد العرب، فالتقطه الفلسطينيون، وأنشدوه، وعمموه، وتبّوه. معين ابن الشعب، وصوت الضحايا، كما وصفه شاعر مصري شعبي: يا معين يا صوت الضحايا

معين هذا تعرّض للسجن، للمنافي، للمطاردة، في عدّة أقطار عربيّة، وحافظ علي صلابته الروحية، وتقوي بالشعر علي المصائب والصعاب. كل من تعرّف بمعين، لمس فيه روح ابن البلد، الطيب، العفوي، البسيط، الشعبي، القريب إلي القلب، والذي تبلغ فيه حدود البساطة مدي سهّل علي المخادعين أن يستغلّوا كل هذه المناقب.

معين بسيسو وفي، وأنا رأيته مراراً يزور مخيم (اليرموك) قرب دمشق العاصمة السورية، ليلتقي برفاقه (الشيوعيين) الغزاة الذين أقام كثير منهم في المخيم، وكان يعني بهم وبأسرهم بصمت وتواضع ووفاء نادر. هذا الشاعر ابن الشعب، صوت الضحايا، ما في جيبه ليس له، سعادته أن يسمع كلمة طيبة وكفي. في المعركة يجوهر معين، ولذا امتلأ حماسة أثناء معركة (تل الزعتر). كان يكتب ليل نهار، يرسل صوته إلي المحاصرين بين أنياب الانعزاليين الوحوش، يحمل مسدساً ويمشي في الشارع، فهو في (المعركة) وهو يقول الشعر، يندفع في الشوارع ممتلئ الصدر سهيلاً.

كان يصيح من جذور قلبه:

الآن، خذي جسدي كيساً من رمل

الشعر عند معين هو دعم لوجستي، كالذخيرة، كالتموين، به يصمد المحاربون، فالروح بحاجة للغذاء، والشعر غذاء الروح، به تتقوي وتنتصر...

عام ٨٢ كان يشارك في مؤتمر أدبي في (طشقند)، وعندما سمع ببداية العدوان علي الثورة

الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، بادر بالعودة سريعاً إلى (بيروت) مخترباً الحصار، ليكون مع الفلسطينيين واللبنانيين في المعركة، إذ لا يعقل أن تكون معركة، ويكون معين بعيداً يتفرّج. منذ لحظة وصوله انخرط (معين) في المعركة شعراً، ونثراً، وبدأ يكتب زاويته (متاريس) حاضاً علي الاستبسال:

ولدي محمّد: في ظلي الدامي تمدد

أو فوق ركبة أمك العطشي تمدد

وإذا عطشت وجعت فاصعد

هي الكلمة الشجاعة في وجه الظلم والجور والطغاة، وقد قالها معين صادقة، ودفع الثمن

مراراً ولم يركع. ولأنه شاعر مقاومة، ولأننا في بيروت قررنا أن نقاوم مع البنادق

بالكلمات، فقد أسسنا صحيفة (المعركة) اليومية، واقترح بعضهم أن نضع ترويسة علي

صفحتها الأولى مقطعاً من قصيدة شاعر المقاومة الفرنسي (أراغون):

اللجنة علي العدو المحتل

ليدو الرصاص دائماً تحت نوافذه

وليمزّق قلبه الرعب

ولكننا ثبتنا منذ العدد الخامس مقطعاً من قصيدة معين:

اقبلوا فلا مساومة،

المجد للمقاومة...

في (المعركة) التقى الكتاب والشعراء من كل الأقطار العربية: فلسطين، الأردن، مصر،

لبنان، سورية، العراق، وقاوموا بكلماتهم، وبعضهم شارك في إذاعة (صوت الثورة

الفلسطينية)، وكانت تلك أياماً مجيدة لتلاحم الكلمة والبنديّة، تعبيراً عن صمود الناس،

والتصدّي للإعلام الصهيوني والكتائبي الانعزالي، وحربهما النفسية.

معين بسيسو كمبدع يتمتع بموهبة فذة، وثقافة إنسانية فسيحة، وهو لا يكتفي بالتعبير عن

رؤيته بالشعر، فقد كتب للمسرح، وقدمت مسرحياته في القاهرة، ودمشق، وبعض الأقطار

العربية.

نثره يعتمد الجمل القصيرة المتوترة، وإذ تقرأه تحسب أن الشاعر يكتب وهو يركض في

الشوارع، والأزقة، والحواري، وفي القطارات، وعلي سطح سفينة تضربها أمواج عاتية،

فهو يكتب ويركض من جهة إلي جهة، للتواري عن عيون مطارديه، لا خوفاً ولكن ليكتب

ويوزع ما يكتبه كالمنشورات السريّة، حريصاً علي تأدية دوره علي أتم وجه للمساهمة في

إنقاذ السفينة، وبلوغها شاطئ الحرية والأمان.

المرحلة المصرية في حياته صبغت شعره، وذوقه، ومزاجه، فهو ترعرع ونما في

أحضان الحركة الثقافية في مصر، وارتبط بصداقات هي الأعمق في حياته، وبخاصة مع

عبد الرحمن الخميسي، الشاعر، والقاص، والفنان، والممثل، والمخرج السينمائي.

ودائماً تكلم بحب عن الخميسي، وهو الذي استضافه مراراً في (بيروت) وقدمه، وعمل

علي إعادة طباعة أعماله الشعرية.

ثمّة ما هو مرح، وفكه بينهما، وفي حياتهما، فالمقابل لا تنتهي بينهما، معين كان مصري

المزاج، والذوق، وهو ما نلحظه في شعره، ومسرحه الشعري، وأسلوب حياته.

إنه معين، ابن البلد، صوت الضحايا...

في الملعب البلدي، يوم ٢١ آب (أغسطس)، تعانقت ومعين، وبكينا واحدنا علي كتف

الأخر، فقد ازدادت علاقتنا حميمية أثناء معركة بيروت، وهو ما أشار له في كتابه (٨٨

يوماً خلف المتاريس).

معين بسيسو كان مؤمناً بطليعية الاتحاد السوفييتي، وبدوره القيادي علي الصعيد العالمي،

في مواجهة الإمبريالية الأمريكية.

كان زائراً دائماً لموسكو - بل صاحب بيت - التي له فيها رفاق، من الشعراء، والمبدعين

الروس (سوفرونوف) الشاعر الروسي، ومن شعوب الاتحاد السوفييتي، ومن بلدان العالم الثالث (فايز أحمد فايز) الشاعر الباكستاني المنفي عن بلده. كان معين محترماً ومحبوباً جداً في (موسكو)، وأذكر أنه عندما زار موسكو بعد معركة بيروت كان الإعلان عنه في نشرة الأخبار الرئيسية مع تقديم ريبورتاج جوانب حياته الأدبية والنضالية. كتب معين (الاتحاد السوفييتي لي)، وهو كان وفياً للاتحاد السوفييتي، والكتاب عن رحلاته في جمهوريات الاتحاد السوفييتي الأوروبية والآسيوية. في البرافدا كتبوا عن معين، وترجم لنا الدكتور شوقي العمري، وهو شاعر غزلي من تلاميذ ومريدي معين، درس في موسكو وأتقن الروسية كأفضل الناطقين بها، وأكد لنا بالفم الملآن أن جائزة لينين ستكون من نصيب معين... التقيته في موسكو بعد خروجنا من بيروت، في عام ٨٣، وهناك احتفي بي كثيراً، وكانت روايتي (البكاء علي صدر الحبيب) قد ترجمت مع بعض قصصي القصيرة، فبقيت في موسكو قرابة الشهر، ولست أنسى اهتمام معين بي.

القصيدة :

في المجلس الوطني الفلسطيني بعد الخروج من بيروت، عام ٨٣، قرأ معين قصيدة كانت قد كتبت على عجل، ولقد رأيت أنها أقل من قيمته الشعرية، فعتبت عليه جداً. من الجزائر توجهنا إلي تونس، وذات يوم تلقن له (زياد عبد الفتاح) رئيس وكالة (وفا)، وأخبره بوجودي، فطلب أن يحكي معي، وبطريقته الشعبية اللطيفة طلب مني أن أزوره مع زياد، فقلت له :

- شريطة أن تبدي استعداداً لسماع ما سأقوله لك، لأنه جدّي وخطير، فهل تقبل ؟
صمت علي الهاتف، ثمّ جاءني صوته:

- تعال...

أعدت عليه ما قلت، فألح علي حضوري، وقد لمس جدية في صوتي، وعرف أنني لا أمزح.

رحنا إلي نزل (أبو نواس) ، وكان يقيم في غرفة وصالة علي التلة المجاورة، وما أن دخلنا حتى بادرني مستفسراً :

- ماذا تريد أن تقول؟!!

جلست، وسألته بلهجة هجومية لم يتوقعها :

- هل ما قرأته في المجلس الوطني شعر يا (أبو توفيق)؟!!

سألني بانزعاج:

- وما هو الشعر برأيك ؟

فأخذت أقرأ له ما أحفظ من شعره، ولعله دهش لما أحفظ، ولما أختار، وختمت بقصيدته

المهداة إلي شهيد معركة جبل (صنين) جورج عسل :

استشهد الماء ولم يزل يقاتل الندى

استشهد الصوت ولم يزل يقاتل الصدى

وأنت بين الماء والندى

وأنت بين الصوت والصدى

فراشة تطير حتى آخر المدى

مدّ يده، وتناول كومة أوراق، وأخذ يقرأ، وأنا لا أستقبل أبدأ، فاستنتج أنني لم أعجب بما

سمعت، فقال بلهجته المحببة:

- طيبّ : اسمع...

وأخذ يقرأ مقاطع من قصيدته (القصيدة) ، آخر قصائده، قصيدة الوداع.

صققت له واقفاً، وأنا أردد :

- هذا شعر، أي والله هذا شعر يا أبو توفيق...

أمسية لندن :

في عام ٨٣ أقيم أسبوع ثقافي فلسطيني في العاصمة البريطانية (لندن)، وكان معين يشارك مع شعراء فلسطينيين آخرين. جاء إلي الأمسية متأقاً، وكما هو شأنه فشعره ينفّر كما لو أنه عرف حصان. جلس بجواري، وكنت أجلس أنا وصديقي ياسين رفاعية وزوجته الشاعرة أمل جرّاح.

قلت له:

- الليلة ستكون ليلتك، صدّقني...

استفسر :

- بجد؟

- نعم يا (أبو توفيق). الليلة ستكون ليلتك، ليلة (القصيدة)، الليلة ستألق، وتنال ما تستحق من ثناء.

وهذا ما كان. سعد معين، وفي القاعة كان شعراء، سياسيون، فنانون عالميون، تتقدمهم صديقة الشعب الفلسطيني، الفنانة البريطانية العالمية (فانيسيا ردغريف)، والصحافي البريطاني الكبير (مايكل آدمز)، ومئات من حركات التحرر العالمية. استحوذ معين علي الجو، شعراً وإلقاءً، وصقّق له الجمهور واقفاً، صقّق للقصيدة:

مطر علي الشبّاك

في لون البنفسج والخزامي

مطر علي المرأة

في لون الدوالي والندامي

مطر علي البحر المسيح

زبد وعوسج

موج يعبئ بالنوارس

لي المسدس

كانت تلك ليلة (معينيّة) حقاً، أفرحت معين.

في تونس، في المؤتمر العام لاتحاد العمّال الفلسطينيين تكررت تلك الأمسية، حيث قرأ معين (القصيدة).

بعدئذ لم ألتق بمعين، وجاء الخبر الفاجع: رحل معين بيسيسو!

لم تسمح سلطات الاحتلال لجسد معين أن يدفن في غزة، فدفن في مقبرة آل بيسيسو في القاهرة...

الاحتلال يخاف أجساد الشعراء، لأن الشعراء أمثال معين بيسيسو لن يصمتوا بعد الموت، فهم أحياء بشعرهم الذي تتناقله الأفواه، وتردده الحناجر، وتخترنه الذاكرة الجمعية لشعبهم، وأمّتهم.

الاحتلال يكره الشعر والشعراء، لأن أجساد الشعراء الراحلين ستتحول إلي مزارات تتجدد عندها نداءات الحرّية والمقاومة...

من وقّعوا علي اتفاق (أوسلو) لم يتفطنوا إلي بند ينص علي عودة جثامين المبدعين

الفلسطينيين، علي الأقلّ الذين من مدن وقرى الضقة والقطاع... من العجيب أننا كلّما

انتقدنا مسيرة الخراب الاستسلاميّة فلا نسمع سوي : تعالوا ناضلوا معنا!

طيّب، أيها المناضلون: لماذا (نسيتم) أن تصطحبوا معكم في (عودتكم) المظفّرة جثامين : كمال ناصر (ببر زيت)، وحنّا مقبل (الطّيبة)، وعلي فودة (علا)، ومعين بيسيسو (غزّة)، وجبرا إبراهيم جبرا (بيت لحم)، وائل زعيتر (نابلس) وماجد أبو شرار (دورا).

نحن لا نريد أن نحرّجكم، ونطالبكم بإعادة جثامين: غسان كنفاني، ناجي العلي، سميرة

عزّام، وأحمد عمر شاهين، فهؤلاء من: عكا، الشجرة، الناصرة، الرملة،...

يا لهذا (السلام) الذي يحرم جثامين الشعراء، والكتّاب، والصحفيين، من حق العودة

والدفن في مساقط رؤوسهم !

شاعر الوحدة الوطنية :

ظلّ معين بسيسو شيوعياً حتى رحيله، ولكنه لم يكن متعصباً، فهو كتب شعراً جميلاً في جمال عبد الناصر، رغم أنه سجن في مصر مع مئات الشيوعيين... وهو رغم أنه علي النقيض مع (الإخوان المسلمين) ، سار هو وشيوعيو غزّة، والقوميون، كنتفاً لكتف، معاً، يتقدمون الجماهير، رافضين التوطين، مطالبين بالسلاح للمقاومة. في مذكراته (دفاتر فلسطينية) يسرد معين ملامح تلك المرحلة في منتصف الخمسينات، ويقدم رموز (الإخوان المسلمين) بكل الاحترام، والإنصاف، رغم الخلاف الفكري، معتزاً بروح الوحدة الوطنية. لقد حافظ شاعرنا الكبير علي صلاته الحميمة مع كل مناضلي تلك المرحلة حتى أيامه الأخيرة...

اليوم، ونحن نستعيد ذكراه، ونقرأ شعره، ونحن نري ما يحدث في وطننا فلسطين بكل فخر - ما جاءت به الانتخابات التشريعية الفلسطينية - نجدنا مدعوين لصيانة روح الوحدة الوطنية التي ميّزت معين، ومنحته إضافة لقيمتها الشعرية احتراماً وطنياً، ودوراً قيادياً (...).

هذا هو الشعر، وهذا هو دوره :

في آخر مقابلة أجراها معه تلفزيون الإمارات العربية - المذيع أحمد زين العابدين - قال معين: الدور الذي يجب أن ينهض به الشعر العربي الآن هو أن يقف مع الإنسان العربي، يقف مع الأمة العربية، يقف مع كل صديق لهذه الأمة، في سبيل نهوضها، وفي هذه المرحلة علي الكلمة أن تكون صادقة، شجاعة، وصريحة...

معين يفهم الحدائة كما يلي : أنا حينما أقرأ بعض القصائد أحس أنني أقرأ باللغة الهيروغليفية . بعض الشعراء اعتقدوا أنهم حينما يتنكرون للتراث، للتقاليد الشعرية العظيمة يصبحون شعراء معاصرين...

وبطريقته التهكمية يسخر ممن يدعون أنهم يكتبون لأنفسهم : حسناً، إذا أردت أن تكتب لنفسك، أن تكتب شيئاً لا يفهمه الناس، ولا يتفاعلون معه، فاكتب علي المرأة، وانظر فتجد قصيدتك، وتري أيضاً وجهك، وهذا يكفي لتحقيق كل طموحك... معين بسيسو من أوائل من كتبوا القصيدة الحديثة، قصيدة التفعيلة، وهو مع كونه شاعراً جماهيرياً لا يغيب عن باله سؤال الشعر العظيم.

قرأت مرّة للناقد السوري الصديق الراحل محيي الدين صبحي أن شعر معين ينطبق عليه مصطلح الشعر الخشن الذي ورد في كتاب (الشعر) لأرسطو، وهذا ما جعل الكتابة عنه صعبة رغم سهولة وبساطة هذا الشعر...

من جهتي فأنا أشارك محيي الدين صبحي هذا الرأي، فالشعر العظيم لا يحتاج لكّك الطلاسم، ورسم المثلثات، والمكعبات، وتقويله ما لم يقل...

معين يا صوت الضحايا :

اليوم نردد مع الشاعر المصري :

يا معين يا صوت الضحايا

تملي صوتك معايا

ومع معين ننشد :

قد أقبلوا فلا مساومة

المجد للمقاومة

المجد لمقاومة الإنسان العربي في فلسطين، في العراق، في لبنان، المجد للمقاومة الإنسانية تتحدّي ظلم أمريكا، وعدوانيتها وحليفتها الصهيونية...

المجد للشعر، للكتابة تتحاز للإنسان، للعدل، للكرامة الإنسانية، للحب بكل تجلياته...

إلى طففتي دالية

وكمصلوب يحلم .
الأرض النائية كنجم .
لو يسمع وقع خطاه ...
أنا أحلم أن نمشي .
في كفي شعلة أزهار .
وورائي أعلام الدمية .
تتلوى فوق الأسوار .
مصلوبك يا وطني يحلم
الأرض النائية كنجم
لو يسمع وقع خطاه...
وورائي أعلام الدمية .
أمراس جليد .
تتلوى فوق الأسوار .
ألف شتاء قد مر وما زال
مصلوبك يا وطني يحلم
لو تلمس قدماه،
الأرض النائية كنجم
لو يمشي
لو يسمع وقع خطاه...

المعركة

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
وانظر إلى شفتي أطبقنا على هوج الرياح
أنا لم أمت! أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح
واقرع طبولك يستجب لك كل شعبك للقتال
يا أيها الموتى أفيقوا: إن عهد الموت زال
يا أيها الموتى أفيقوا: إن عهد الموت زال
ولتحملوا البركان تقذفه لنا حمر الجبال
هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة
هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة
للتورة الكبرى على الغيلان أعداء الحياة
فإذا سقطنا يا رفيقي في حجيم المعركة
فإذا سقطنا يا رفيقي في حجيم المعركة
فانظر تجد علما يرفرف فوق نار المعركة
ما زال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة
ما زال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة

ثلاثة جدران لحجرة التعذيب

(عند طلوع الفجر)

ساقاومُ ...
ما زالَ في الجدارِ صفحةً بيضاءُ
ولم تذبْ أصابعُ الكفينِ بعدُ ...
هناكَ من يدقُ
برقيةً عبرَ الجدارِ
قد أصبحتُ أسلاكنا عروفتنا
عروقُ هذه الجدرانُ ...
دماؤنا تصبُّ كلُّها،
تصبُّ في عروقِ هذه الجدرانُ ...
برقيةً عبرَ الجدارِ
قد أغلقوا زنانهُ جديدةً
قد قتلوا سجينُ ...
قد قنَّحوا زنانهُ جديدةً
قد أحضروا سجينُ ...

(عندما ينتصف النهار)
قد وضعوا أمامي الورقُ،
قد وضعوا أمامي القلمُ
قد وضعوا مفتاحَ بيتي في يدي
الورقُ الذي أرادوا أن يُلطِّخوه
قال: قاومُ
والقلمُ الذي أرادوا أن يُمرِّغوا جبينه في الوحل
قال: قاومُ
مفتاحَ بيتي قال: باسمِ كلِّ حجرٍ
في بيتكَ الصغيرِ قاومُ
ونقره على الجداره
برقيةً عبرَ الجدارِ من يدٍ محطمةٍ
تقولُ: قاومُ
والمطرُ الذي يسقطُ
يضربُ سقفَ حجرةِ التعذيبِ
كلُّ قطرةٍ
تصيحُ: قاومُ ...

(بعد غروب الشمس)
لا أحدٌ معي
لا أحدٌ يسمعُ صوتَ ذلك الرجلِ
لا أحدٌ يراه
في كلِّ ليلةٍ وحينما الجدرانُ
تُغلقُ والأبوابُ ...
يخرجُ من جراحِي التي تسيلُ
وفي زنانتِي يسيرُ
كانَ أنا،
وكانَ مثلما كنتُ أنا ...
فمرةً أراه طفلاً

ومرّة أراه في العشرين
كان عزائي الوحيد
وحبي الوحيد
كان رسالتي التي أكتبها في كلّ ليلةٍ
وكان طابع البريد
للعالم الكبير
للوطن الصغير
في هذه الليلة قد رأيته
يخرج من جراحي، ساهماً معذباً حزيناً
يسير صامتاً ولا يقول
شيئاً كأنه يقول :
لن تراني مرّة ثانية لو اعترفت
لو كتبت...

البداية

نافذة الكهف

في مكان ينهار فيه الجناح
وتسوق الزمان فيه الرياح
ويفوح النسيان ألّهته الموت
كأفعى قد ألهتها جراح
ويخاف السكون منه كطفل
علقت في ثيابه الأشباح
كوكب ترصد النهاية عيناه
ولا شاطئ ولا ملاح
ليس فيه من الحياة سوى الليل
ضريرا يقوده مصباح
وصحارى من العواصف تلتفت
عليها من اللظى أدواح
وسماء من الخرائب تجتاح
سماها نجومها أرواح
صور من براعم الموت فاحت
في عيون دموعها أقداح
ليس تدري آفاقها من شذاها
أين يهوى المجداف والإصباح
وهي ما أورد الفراغ دلاء
وهي ما أجذب السكون رماح

أنا في النهر صورة كسرتها
يد أعمى خياله لمّاح
فتماسكت عالقا بظلا لي
وهي تطفو كأنها ألواح
وتلفت والرجاء غراب
ضلّ ، واليأس طائر صدّاح
والمصبّ العملاق أعور كالشمس

قد اجتاح رأسه مجتاح
وحرام على المصّب ابتلاعي
وأنا منه جدول فوّاح
فنيّت قوتي ومات خريري
ودعاني هديره الصيّاخ
فتلعثت ثم ناديت لبيك
وجدّقت والهوى فضّاح
وإذا النّهر والرّياح دموع
في مآقيه والخريّر نوّاح
نفضته أعماقه وتغشّى
ضفتيه من الضباب وشاح
فجرى عاصفا وحول مجراه

شتاء مزلزل وكفاح

البداية

لمعة

أين عيناك تبصران شموعي
وهي تذوي على ركام دموعي
أين عيناك تبصران عسافير
شبابي في عنفوان الربيع
ظامّات تنقرّ الحجر
الراشح ألقتة ثورة الينبوع
جائعات تلوك ما قطع الزارع
من زهره الهزيل الصريع
لاهثات كأنها نفس النجم
وراء السحاب قبل الطلوع
أين كفاك تجمعان الذي
يسقط من عقد عمري المقطوع
فهي قد جمعتّه من صدف الشا
طىء أمّي ومن غريب الزروع
أين عيناك أين قلبك يسترجع
دقات قلبي المفجوع
وهو كالطائر الرضيع وقد أصبح
فوق الغصون غير رضيع
يبصر الريح وهي تعتصر النهر
وتلقيه كومة من نجيع
غير أنني على الخرائب وحدي
سأهرا أصطلي لهيب شموعي
أرقب النجم وهو نور منيع
يترامى على الفضاء المنيع
وأشمّ الأمواج وهي قرابين
تضحى للزورق المصدوع
وأحسّ الطوفان وهو على القمة

يتلو بصوته المسموع
قصة اليأس وهو يمشي على الأر
ض برأس مكلل مرفوع

البداية

الجبل الزاني

عصى جرسى هذا هو الجبل الزاني
وهذا هو الرجّام ذو النفس الفاني
فلا تطرقي شبّاكه فهو شمعة
تخبؤها الظلماء عن نجمك الداني
ولكن أضيئي خطوة في طريقه
فإنّ الضياء الحرّ خطوة إنسان
فهذا سياج لم يكن ظلّ طائر
ولكنه ظلّ لصخرة سجّان
هو القفر لا يسقي وكم في دلّائه
من الجبل المرجوم أنجم غدران
عصا جرسى قد تسعد الطين زهرة
تفوح به أو يسعد الطلل الباني
وما الثّار إلا باصطلاء جذورها
تعيش فكوني المصطلي الساهر الحاني
وهذا تراب لم تزل فيه ناره
وإن ذاذ عنها الريح مطفئها الجاني
فلمّي من الأحطاب تمثال غابة
ونادي له القاصي ونادي له الداني
فقد كان مبناء الحياة رصيفها
وداع لألوان لقاء لألوان
وحين يضيء الليل كلّ نجومه
وتعلو من الأمواج صبيحة طوفان
أريقي به النار التي لم ترق به
وإن سكبتها فيه قبلك عينان
ونادي له الطفل الذي لم يزل له
ليحرق أحلام الحياة بأغصان
وقولي له والسحب تهوي بجمره
وترسم ألواحا بريشة ربّان
سلام مجير الطّفّل من ثدي أمّه
سلام غريق لا يلوح بشطّان

البداية

النمل

أتظمىء عينيك السماء وتستنقي
وأشرب من نهر التراب وأستبقي
وتعلو أعشاش النجوم بنخلة
من الريح أعلوها بسنبلة العمق

وتشمخ في قشّ الفراغ منقرا
سحائب أنفاسي فيمطر بي خفقي
وأمخر رايات الرياح لخيمة
معششة الأسوار في جبل الرقّ
وأشرف من نجم السياج ملوحا
إلى النمل مطروف الحصاد على الأفق
فرطت بمحراثي غصوني لنملة
وكم نملة شجرا تصفر في عرقي
تسامر عينيها قيود من الحصى
فتنعس والأصداء موغلة الطرق
كجارية الأحلام في برعم خبا
به الليل أغفت كالحمامة في الطوق
حكايتها والشمس خيط غزلته
حكاية مصباحي المسافر في الشرق
تعلق في ثوبي كمؤودة رأّت
ضفائرها واللّيل يبرز للنطق
إلى غدر أمشي وطّي عباأتي
غدير وقيد صام فيه عن الحرق
أريق له ناري على ساق شمعة
تقاذفها جزر الهدير إلى عنقي
وأنت بمجداف السماء تزورني
تكتحل عيني بالزوابع والبرق
وشمسك في ليلي فضاء سلكته
إليك وأغلالي تجاذبني عنقي
ترابي في كفي وريحي طائر
أناخ جناحيه وأغمض في أفقي

البداية

الميلاد...

هذه الريح وهذا الجبل
وأنا والمنتهى والأجل
والجناحان وليلي قفص
والسياج الأبيض المكتحل
أيّ أنغامي الذي يسمعني
قمم تعزف فيها السبل
والذي تبصر عيني غصنا
والذي يبصر عيني طلل
هذه الريح وهذا الجبل
وأنا والمنتهى والأجل
حطب يبهر في النهّر وفي
صدره النار التي تشتعل
نسي الرفش عليه أثرا
ذكر الحطاب فيه البلل

فعلى أيّ تراب تنحني
هذه الشمس التي تبتهل
وعلى كلّ تراب صنم
وعلى كلّ سماء بطل
هذه الريح وهذا الجبل
وأنا والمنتهى والأجل
والطريقان وحبّي أثر
أتخطّاه وسيري ملل
والتي قد رحلت في أثري
لم تعد منه وعاد الأمل
أشموعي والجي يذرفها
فصباحي أنجم تنهمل
والنّدى الإنسان في سنبله
حلمه في ساقها يقتتل
هذه الريح وهذا الجبل
وأنا والمنتهى والأجل
وظلالتي أدمع يسكبها
وقيود قد رماها الجبل
يوم ميلادي الذي قد نزلت
فيه أيّامي وأهلي نزلوا
نصبّوا لي شمعة تحرسني
ومشوا في ضوئها وارتحلوا
فإذا دقّ بصدري نفس
قرعوا أجراسهم واعتزلوا
هذه الريح وهذا الجبل
وأنا والمنتهى والأجل
ها هي النار مشت صخرها
في التماثيل دما يشتعل
دثري جرحي فلا تطفؤه
كلّ ريح جرحها مندمل

البداية

الديك

أناخ الغروب ظلال الرحيل
وعيني مسافرة في الأثر
تفتش عن جرّة في الرمال
وتبحث عن جمرة في الحجر
وتسأل ناطورة في الرياح
عن الزرع والزارع المنتظر
عن الحاصدين وقد علّقوا
مناجلهم في سقوف الشجر
وراحوا على النار يسترجعون
عهود الحصاد وعهد المطر

عن العاطلين عبيد الطريق
ومولاهم الفاتح المنتصر
ينادون نوح الشراع الكبير
وطوفانه نائم في السرر
عن الضاربين خيام الحياة
بكلّ كئيب قصير العمر
تباغتهم ذكريات الشروق
فتعثّر في ظلمات الحفر..
كأنهمو حارس في الطلول
ينقلّ سلمه في الجدر
يرمم في صور الهالكين
ويمسح عنها غبار السفر
فيذكر قافلة في السراب
وقافلة في ظلال الغدر
وديكا عراه ذبول المشيب
وقد أمسكته سطوح الحجر
لقد فاجأته طيور الصّباح
ينقر في ريشه المنتشر

البداية

المسافر

فتح الإنسان عينيه وقال
لا أرى أثار طفلي في الرمال
أين ولىّ أين يا شمس وهل
من لظى عينيك تحميه الظلال
أين ولىّ أين يا ريح وهل
حين تشتدّين تأويه الجبال
أين ولىّ أين يا سحب قفي
واسمعي منه أغانيه الطوال
فهو صوت البحر سهران على
صرخة الطائر تدميه الحبال
وارتعاش القفر مست قلبه
نسمات من سراب وخيال
واهتزاز الجبل السكران في
قلبه البركان قد غنى ومال
وانتفاض الكوكب النائي رأى
قدم الكلب على عنق الغزال
وصراخ العبد في النار هوى
حاضنا أغلاله السود الثقال
وغفا الإنسان إلا شمعة
زادها الفجر اشتعالا في اشتعال
وعلى أضوائها الحمر مشى
ذلك الطفل السماويّ الجمال

حاملا إكليل زهر لم يلد
مثله غصن على تلك التلال
وإذا ما اشتبكت أظلاله
بظلال الفجر ألقاه وقال
حمل الناس الأمانى مثلما
حملت عودا من القش النمال
أمطري يا هذه السحب فلن
تطمسي آثارهم فوق الرمال

البداية

المدينة المحاصرة

البحر يحكي للنجوم حكاية الوطن السجين
والليل كالشخّاذ يطرق بالدموع وبالأنين
أبواب غزة وهي مغلقة على الشعب الحزين
فيحرك الأحياء ناموا فوق أنقاض السنين
وكأنهم قبر تدقّ عليه أيدي النابشين
وتكاد أنوار الصباح تطلّ من فرط العذاب
وتطارد الليل الذي ما زال موفور الشباب
لكنه ما حان موعدها وما حان الذهاب
المارد الجبار غطى رأسه العالي التراب
كالبحر غطاه الضباب وليس يقتله الضباب
ويخاطب الفجر المدينة وهي حيرى لا تجيب
قدّامها البحر الأجاج وملؤها الرمل الجديب
وعلى جوانبها تدبّ خطى العدو المستريب
ماذا يقول الفجر هل فتحت إلى الوطن الدروب
فنودع الصحراء حين نسير للوادي الخصيب؟
لسنابل القمح التي نضجت وتنتظر الحصاد
فاذا بها للنّار والطير المشردّ والجراد..
ومشى إليها الليل يلبسها السواد على السواد
والنّهر وهو السائح العداء في جبل وواد
ألقي عصاه على الخرائب واستحال إلى رماد
هذي هي الحسناء غزة في مآتمها تدور
ما بين جوعى في الخيام وبين عطشى في القبور
ومعدّب يقتات من دمه ويعتصر الجذور
صور من الإذلال فاغضب أيها الشعب الأسير
فسياطهم كتبت مصائرنا على تلك الظهور
أقرأت أم ما زلت بغاء على الوطن المضاع؟
الخوف كبل ساعدك فرحت تجتنب الصراع
وتقول إنّي قد وشفقت الريح الشراع
يا أيها المدحور في أرض يضحّ بها الشعاع
أنشد أناشيد الكفاح وسرّ بقافلة الجياع

البداية

السيول

لم يترك السيل غير الحبل والوتد
من ذلك الشعب أو من ذلك البلد
وغير بعض العرايا الساحبين على
تلك الوحول بقاياهم من الولد
وغير ما شاهدت عينك من جثث
منفوخة لم تنزل مجهولة العدد
هنا حطام هنا موت هنا غرق
هنا بقايا رغيغ عالق بيد
هنا العيون التي تصطك مَيَّنة
هنا الشفاه التي تدعو لثأر غد
تلك البقيّة من شعبي فذاك أبي
وتلك أمي وما في الخيش من أحد
إن جنّت تسأل عن أطفالها صرخت
وقهقهة السيل لم تحبل ولم تلد
يا من نصبت لهم سود الخيام على
صفر الرماد لقد غاصت إلى الأبد
ألست جلادهم فاربط غريقهم
واسحبه خلفك بالأمراس والزررد
واترك لأطفاله آثار جنته
دما توهج فوق الرمل والزررد
دم ستر عش قلب الأرض صرخته
يا نار قد صحت الأموات فاتقدي
دم ستر عش قلب الأرض صرخته
يا نار قد صحت الأموات فاتقدي

البداية

تحدي

أنا لا أخاف من السلاسل فاربطوني بالسلاسل
من عاش في أرض الزلازل لا يخاف من الزلازل
لمن المشانق تنصبون لمن تشدون المفاصل
لن تطفئوا مهما نفختم في الدجى هذي المشاعل
الشعب أوقدها وسار بها قوافل في قوافل
أنا لا أخاف من فاعصفي بي يا عواصف
أنا لي رفاق في دمي تدوي وعودهم القواصف
وتضيء في عيني خاطفة بروقهم الخواطف
وتسيل من كفي جارفة سيولهم الجوارف
أنا لا أخاف ومن أخاف ولي رفاق يا عواصف؟
قد أقسموا والشمس ترخي فوقهم حمر الضفائر
أن يطردوا من أرضنا الخضراء تجار المقابر
ويحرروا الإنسان من قيد المذابح والمجازر
ويحرروا التاريخ من قلم المغامر والمقامر
فحقق الوطن الكبير لنا ونزرعه منائر

ها هم هناك أخي هناك هووا صواعق في صواعق
فانظر لمن زرع المشانق تحصدته المشانق
وانظر لمن حفر الخنادق كيف تدفنه الخنادق
هم قادمون أخي لقد ركزوا على الفجر البيارق
وهوى وراءهم الظلام الميت تأكله الحرائق

البداية

صنيل الحبال

أخي من خلال حبال السياط ومن حلقات القيود الثقال
تطلع إلى وطن الكادحين وقد شفقوه بسود الحبال
ولقوه بالخرق الباليات وألقوه في ظلمات الحفر
وهالوا عليه التراب الكثيف كأن لم يكن في ربيع العمر
أخي من خلال الجدار الكئيب ومن فجوات الدّجى والحطام
تطلع إلى الأعين الغائرات وقد علقت بسقوف الخيام
هنا يمضغ الجائعون التراب هنا يعصر الظامئون الحجر
هنا نكتسي بالظلام العراة أخي من هنا سوف يمشي الشرر
أخي من هنا سوف تجري السيول
فتجرف أغلالنا والوحول
ويثأر من قاتليه القتييل
فنقرع أجراسنا والطبول
ولن نحرت الأرض للمرتوين
من الدّم يجري على كلّ طين
ولكن لأطفالنا الجائعين
وقد ملأوا بالتراب البطون
ولن نستقي قطرات المطر
ولن نكتفي بجذور الشجر
ولكن بكلّ شهّي الثمر
سقيناه حتى ارتوى وازدهر

البداية

دقت الساعة

ليس ذنبي إن كان للنور قبر في بلادي وللمكافح قبر
وتفشّى الظلام كالداء لا يوقف طوفانه المدمر فجر
إنني أكتب الحقيقة لكن ثورة الحق في بلادي كفر
قلمي في الحديد في ظلمة السجن طريح مكبل لا يصرّ
نفسى حائم يفتش في الظلمة عن منفذ ولا يستقرّ
أبدا أرفع العيون إلى الباب ولا حامل شعاعا يمرّ
وإذا ما سمعت دمدمة الريح تدوي قلت العواصف كثر
سوف تجتاح حائط السجن يوما
فوراء القضبان يلهث حرّ
غير أنّ الأيام تمضي وتمضي
وأنا شمعة تذوب وفكر
وأمدّ الأنفاس مدّ فريق

أين من موجه الشديد المفرّ
أين شعبي لقد تذكّرت أئي
لي دين في عنقه لي عمر
أين أنفاسه تحطّم قيدي
أين ثاراته أما لي ثار؟

إنّ شعبي العملاق في القمم مثلي وفوقه الليل بحر
ويعاني الذي أعاني وهل يفرح نسر وفي السلاسل نسر!
وهو لا بدّ حاطم قيده الأسود يوما والنصر يتلوه نصر
فإذا الصرخة الكبيرة تدوي
وإذا العالم المقيّد حرّ
البساط الكبير يفرش للظافر قومي إفرشيه فالיום خمر
وغد نحن من صنعنا غد العالم عمّدانه الأيادي الحمر
للملايين يفرحون به العمر فما فيه ظلمة أو قفر
قد جعلنا الإنسان أثنى ما فيه له الأرض والسماء مقرّ
وجعلناه كالرياح طليقا غده في يديه نور وزهر
غدنا أيها القريب لقد أوشك يمشي على الطريق الفجر
نحن لن نترك السلاح وفي الأرض أسارى وأسرون وأسر
ساومونا على الحياة كما شأؤوا وما للحياة سوق وسعر
وإذا ما صلاهم قلم الحر شعاعا يلقيه في الأرض فكر
صرخوا صرخة الغراب على الجيفة واستنسروا وكروا وفرّوا
ثمّ صاحوا بالشعب وهو دموع عنقت في كؤوسهم فهي خمر
إنّ تمثالك المقدّس يا شعب حطام بكلّ أرض يجرّ
قتلوه فخذ بئارك يا شعب فللميت المقدّس ثار
غير أنّ الذي ينادون سدّت أذنه الريح والصبّاح الأغرّ
وعلى ضوئه تراءى له الوحش وقدامه الضحايا الكثر
أيها الشعب أيها الميت الحيّ بأرض منها القبور تفرّ
هكذا تصنع النعوش لكي ترقد فيها وأنت يا شعب زهر
خالد العطر مثقل بندى الفجر ولكن لا يطرد الجوع عطر
هكذا قدّروك ميتا على الأرض وأيامهم لشمسك قبر
يمضغون السنين من عمرك النضر ويلقونها ومالك عمر
أنظر الصين كيف ثارت على الموت وفي الصين للملايين نصر
كيف هدّت جدران معبدها الرحب وفيه الأصنام بيض وصفر
صرخات العبيد في أذنيها
جمعت فالعبيد بعث ونشر
ورياح تسوقها مثلما ساق الدهور البطاء في الأرض دهر
ضربت موعدا له أمم الأرض فطارت به الجياد الحمر
دقت الساعة الرهيبة وانشقّ عن المارد المخدّر ستر
أسندته إلى الجدار الأعاصير كسكران نال منه السكر
وشظايا الكؤوس غائصة فيه كما غاص في حشا الأرض جذر
نسمات الصباح يا حلم التائه يمشي والقفر شوك وجمر
بللي وجهه وشديّ خطاه
فطريق الكفاح صعب ووعر
ملأته الأشواك والدم والدمع ولكنه الممرّ الممرّ

أيها الشرق كان ظلك في الأرض سحابا يمرّ ما فيه قطر
تشرب البوم من جداولك الخضر وتروى وليس ترويك بئر
أورثوك القيود عن صنم مات فأشقاك في حياتك قبر
هم لصوص التاريخ كم سرقوا منه شعوبا مصّوا دماها وفرّوا
وهم المالثون أرض أمانيك ظلما يضلّ فيه الفجر
غير أنّ الحياة أقوى من الموت ولن يهزم الحياة القبر
هي كالبحر مدّها الأمل الهادر طول السنين واليأس جزر
يكشف الصخر حين يرجع بالموج ولن ينجي الغريق الصخر

البداية

حطام القيود

أنا المقيد لكّي سأنطلق
وأترك السجن خلفي وهو يحترق
وأخلع الكفن الدامي وقد رشحت
خيوطه بدمائي وهي تنبتق
واهدم الصنم المجنون صارخة
حريتي في يديه وهي تختنق..
هي الحياة تناديني وملء دمي
أحسّ أمواجه الحمراء تندفق
ولن يعيق خطاي الشوك مرتفعا
ولن يخدّرني من ورده العبق
هي الحياة ولا تبقي على أثر
لكلّ من سار بالأكفان يستبق
كذلك البحر لا تبقي به رمم
ولا تحركه أنفاس من غرقوا
الحيّ حيّ به ، والميت تقدفه
أمواجه فهي للأحياء تصطفق
فانشد نشيدك للشعب الذي سرقوا
دماءه وهي في أعراقه مزق
وخلفوه وفأس العمر في يده
جرداء يرشح منها الدمع والعرق
أنا المقيد لكن سوف أنحت من
أغلالي السود فأسا ليس تنكسر
وأهدم الحائط العالي الذي غلقت
فيه النوافذ لا شمس ولا قمر
وأجمع الريح في كفي وأطلقها
على الذين بهذا الشعب قد كفروا
وجمعوه على أبواب مقبرة
تكاد من هولها الأموات تنتحر
وقيل هذا الروض الذي حلمت
به عيونك فيه الظلّ والثمر
لكنه الفجر ذو الأنوار أدركهم
وهم قوافل بالظلماء تستنر

فأبصروا القبر والحقار متكيء
عليه للميت الموعود ينتظر
إرادة الفأس أن تهوي السجون ولا
يبقى على الأرض من أحجارها حجر
فاشحذ فؤوسك يا ابن الشعب مقتلعا
هذي القبور التي للشعب قد حفروا
وأنت لا بدّ يا ابن النور تنتصر
وأنت لا بدّ يا ابن الشعب تنتصر

البداية

حكاية لأطفال عمان

في الحكاية

ينسج الجاني من الدمع قناع
واليد السوداء خنجر
بدم العصفور يبكي
يا صغيري سوف أحكي
لك عن وحش هو الآخر يبكي
لك عن ذئب بشبابة راع
في الدروب الدمويه
تحت شبّاكك قد راح يغني
أغنيات عربيّه
وجنود بصفائر
مثل أمراس المشانق
تتلوى كالأفاعي
تلدغ الأطفال في ليل النهار
هكذا أبطال عمّان الصغار
في الليالي يحلمون
بذئاب تتجول
في الدروب الدمويه
بشبابه راع
وأغان عربيّه ؟

افتحوا أطفال عمّان العيون
تحت شبّاكمو فجر من الأرض ينور
وعلى الباب " فؤاد"
صرع الذئب وعاد
من دروب راسفات بظلال البندقية
يحمل البشرى هديّه
يطرق الباب بنجمه
ينثر الريش بيارق
وزنابق
للسلام
قد طوى ريح سهام

ورماد ظلام
كان قضبان قفص

البداية

شهرزاد وفارس الأمل

يا شهرزاد-
على جناح السيف كان " أبو الليالي " شهريار
يهوي إليك وفي الركاب
النطع والسيّاف-
يا أمّ الليالي والحكاية
غير الحكاياه والجراح
غير الجراح
فلقد مضى عصر القصائد ببعثات تطير
في روضة الملك السعيد
فالشروق في قمم النهار
الشرق نجم فوق جبهة مصر فارسنا جمال
وله غناء
أشواق أجنحة الدماء لكي تطير
وكفي ترفرف خلف قضبان وسور
وغرام عينيّ اللتين تغردان
للفجر أغنية السماء بلا حديد
للدرب أغنية الخطى العطشى إلى نبع الدروب
وإلى الرفاق مع الشوارع عناق
وبلا فراق
ولحم فلاح بشمس من سنابل لا تغيب
للبلبل الصّدّاح في شفتيّ حبيب
ومغرّداً بالقبلة الأولى التي تلد الحبيبة والحبيب
ولبحر غزّة والهدير
من قلب صياد هناك يهبّ كالريح الهدير
وحنيني الخقاق في شفتيّ حين ترفرفان
وتطرزان وبالقبل
الباب والشباك في بيتي الصغير
بيتي الذي ما كفّ ينبض في نوافذه الضياء
فمن يقول
في بيتنا الحالي ، النوافذ مطفأه
وبصدر شعبي لؤلؤه
لن تستحيل إلى رماد
يا شهرزاد

البداية

شهاد من الأنصار

هو في الظلام جناح ريح
ودم يفوح

ويد من الكلمات في الصمت الرهيب
تنمو

فيا أجراس أزهار المصير
دقي إلى يده المطرزة الشرار
على الظلام ، على الجدار

ودوى الرصاص
وهوى يعانق أرضه الحبلى
بطفل اسمه الغالي " خلاص "
وخطى مطارده توارىها الحدود
وسؤالك الدامي يعود

البداية

فلسطين في القلب

يا أيادي
إرفعي عن أرضي الخضراء ظلّ السلسله
واحصدي من حقل شعبي سنبله
فأنا لم أحضن الخبز ومن قمح بلادي
منذ أن هبّت رياح مثقلات بالجراد
نهشت أرض بلادي
منذ أن شدّوا لي اللقمة في ساق غزال
وعدا ملء الرمال
وهمو قد غصبوا قوسي وسهمي ونصالي
وهمو قد قطفوا زهر دمائي
غير أنّي في نماء
فجذوري تتحدّى الفأس في أرض بلادي
وهي خضراء تنادي:
يا أيادي
"إرفعي عن أرضي الخضراء أغلال الجراد
وحصادي ، لي حصادي"

البداية

في الأردن جلاّد يحلم

في الأردن جلاّد يحلم
بربيع الفجر وبالشعب الأخضر
غصنا يكسر
في جبل المشنقة الأصفر
بالأردن يمسخه ضفدع
في مستنقع
في الوحل الأبيض
والوحل الأزرق
مقصلتك لن تصيح ذاك الزورق
فالأردن والشعب الأخضر

كفراشة إحصار تبرق

في الأردن جلاّد يحلم
بالأردن يحلم في قمقم
سجن أبدي لا يحطم
سجن كجهنم
لا النار تموت ولا تهرم
وأنا أحلم
بالريش سينمو كالغابه
بالمارد طار
بالزنزانه
ويد السجان
تدمي مفتاح الزنزانه
وفم السجان
من جوع يمضغ قضبانه
في الأردن جلاّد يحلم
ميت يحلم
ويجوع ويمضغ أكفانه

البداية

قصيدة إلى الأسلاك الشائكة

لو قدر ألا يلدغ
كلماتي ثعبان
لو قدر ألا تتفجر
أوراق ينبوع رماد,
لو قدر أن تتسلق
كلماتي جبل الأصفاد
لو قدر أن ترسو
فوق ضفاف
كفك كالمجداف,
كاللؤلؤة الهاربة
تطاردها الأصداف..
لو قدر أن تنهار
كجدار أفاع
وكأعمدة من أظفار,
تلك الأسوار..
لو قدر يا وطني
أن ألقاك
كالأرض البكر المولودة
من قبلة زلزال
كشراع قد تاه
وعاد به الإحصار,
لسقطت على سيفك,

يتمزّق قلبي
من قبلة سيفك , وأراك

البداية

كأس الخل

واقترعوا يا شعبي
من يأخذ ثوبي
بعد الصلب..

كأس الخل بيمناي
وإكليل الشوك على رأسي,
باراباس ابن السكين طليق,
وابنك يا شعبي
ساقوه إلى الصليب وللرجم...

يا شعبي..
أن أصرخ لا تدخلني
في تجربة ، لا يا شعبي,
أدخلني في تجربة الصلب,
وجرّني كأس الصلب,
لن أهرب من دربي,
لن أهرب من كأس الخل
وإكليل الشوك,
وسأنتح من عظمي..
مسمار صليبي وسأمضي
أزرع حبّات دمائي في الأرض,
إن لم أتمزّق كيف ستولد من قلبي
كيف سأولد من قلبك,
يا شعبي..

البداية

لتقرع الأجراس لبلادي

تحجّري يا صيحة الخناجر العريانه
وراية الخيانه
فلن تجرّ بالسلاسل الخيام والمعسكرات
لن تجرّ أمهات
شعبي ومن شعورهنّ من عروقهنّ
في يديك كالحبال
إلى مسيرة الفناء
مخالب البنادق التي أطلقتها كالوحوش
على ربيعنا الذي يعيش
في الصدور لؤلؤا في الصدف
أتعلمين!

وأنت في إغماءة المطاف
أن تكسري الأصداف
وتقظني من الصدور لؤلؤ الربيع
لكي تزيّني به صقيع
نيران " شاهك " القزم
أتحلمين!
أن تسحبي نابلسنا حديقة الثوار
وزهرها الذي يذوذ نحلّك المزيف المشؤوم
في قلبه شذاه لا يفوح
أتحلمين!
أن تسحبي نابلسنا حديقة الثوار
أن تسحبي سلفيت
بما غزلت من خيوط عنكبوت
أن تكنسي الشرر
تقدحه أقدامنا العريانة العطشى على الطريق
أن تحرق أحلام إخوتي الذين يحلمون
في " الجفر " بالخيانة
راكعة عريانه
معصوبة العيون
وظهرها إلى الجدار
وحولها دماؤها وحول
من قلبها تسيل
أخي وصيحة الخلاص
قد أوشكت تضيء والأغلال
على معاصم الثوار تحتضر
والرصاص
في بنادق العصاة السوداء ينتحر
فلتشرق الرياح
في أجراس شعبنا ، لشعبنا فلنقرع الأجراس

البداية

نصوص الصلبان

أحبابي،
ألواح صليبي ليست
أرجوحة جلادي
فلنقرع أجراس الأصفاد
لسنا نخلا من رمل تحنيه الريح
ليلثم ظلّ السجان
لسنا ربّانا قد نحر الأشرعة
على الشيطان
قربانا للقرصان
فلقد ولّت كدخان
ملء مناقير الغربان

أيام لصوص الصليبان..

كعطاش كْنَا

نتعثر بخير الأنيار،

كْنَا كنيار

يتعثر بالأنوار

سنبله لله وسنبلة للقيصر

أمّا قبض الريح فللحصّاد

أحبابي:

أن نحمل هودج سلطان

أن نصلب كي يتسلق

ألواح الصليبان

لصوص الصليبان..

أن تصبح أعلامي..

أقنعة نوافذ سجّاني..

لا ، أحبابي،

قد كفّ الجرح يغردّ

لسياط الجلاد..

أحبابي:

إن ضلّ الجدول عن منبعه

تمضغه أشداق الكئيبان،

فحذار ، حذار

أن نخطف موجا من بحر،

أن نزرعه في صحراء

أن نحلم أن يصبح

حقل بحار،

وحذار ، حذار

من حصّاد أفاق

من فرط الخوف الكذاب

من لصّ الحقل

حماه ، بسياج جراد..

أحبابي:

لا يبني الطائر عشّا

في جحر الثعبان..

الطائر لا يدفا

تحت جناح الحدأة ، أحبابي

فكفّاكم ، وكفّاني

نفخا في الأكفان،

ليس يضمّد جرح البركان

أكوام من حطب ودخان

لنضمّد جرح البركان

بنار البركان،

أحبابي:

والفأس المدفونة في الجدران
تستيقظ
فليستيقظ حراس الجدران

البداية

من مذكرة الليل

على جدار ليلي رهيب
رسمت صوتك الحبيب
وأسمك الحبيب زنبقه
من شطّ بحرنا وموجة مؤرّقه
على رمال سهدها الطويل تنتظر
من الغيوم فارس القمر
رسمت صوتك الحبيب
واسمك الحبيب
برعما من النسيم
منوراً في جحيم
صحراء عزلتي وليلي رهيب

البداية

الشرارة في الهشيم

أن أطيّر
على جواد
مجنّح عريان
وأن تكوني لي وأن نطير
معا على أمواجنا البيضاء
وخلفنا تطير موجة مزغرده
وتقدح السنابك الخضراء
شرارة انطلاقنا العظيم
في هشيم
من يشهرون
في فجرنا الصليب
كالخنجر المسنون
أن نطير
على جوادنا المجنّح العريان
يا وردتي التي تفوح في أصفاد
عجزنا الرهيب
حلمي وحلمك الجريح أن يذوب
نجمة وبلبلا في مهد حبنا الصليب

البداية

الصوت ما يزال

مدينتي ، أقراطها الزنابق البيضاء
وعقدها حباته براعم الأنداء

يحبّها علاء
أخي الذي يجوع والربيع في مدينتي ذراع
وبرتقاله على الشجر
أخي الذي يرثته الرصاص والمطر
إليك من دمائه اللألاء السلام
ومن مدينتي السلام
مدينتي الشاهرة السلاح والجراح
متراسها الأمواج والنيران والرياح
وخلفه تلالاً خوذتها الحمراء
سحابة حمراء
من اللهب والدماء
ومن قيودي التي تهزني إلى النضال
إلى الخنادق البعيدة المنال
إلى البنادق الرفرافة الظلال
وفوهاتها العيون لا تنام
سهرانة على السلام
ومن يدي التي تحن للزناد
وضغطة على الزناد
وصرخة الرصاص الثاقبة الهواء
هواؤك المقاتل الغزاه
الهابطين بالأكفان
من مقابر الفضاء
مصليين كالدمى على الهواء
وصرخة القنبلة الثاقبة الأمواج
فتنهض الأمواج
أعماقها المسنونة المياه
تحفر القبور في المياه
ووقفة في أرضك المنبئة العناد
والحدق في النوافذ المكسورة الزجاج
قناعه اللهب والدخان
فوهة لبندقية بلا إصبع على الزناد
تقاتل الغزاه
ويحرس الحياه
رصاصها المقاتل الغزاه
وتطلق المدافع الحارسة الفضاء
حمامة من اللهب والدخان
في الفضاء تحرس الفضاء
والصوت ما يزال
صوت المقاتل العنيد ما يزال
صوت المدينة العنيدة النضال
يرن في الأنقاض والدخان
يرن في جدارنا هنا فنلعن الجدار
هنا ترفرف الشجاعة المكسورة الجناح

هنا يد بلا سلاح
هنا دم بلا جراح
وبيننا وبين نارك الصديقة اللهب
يا بور سعيد هذه الأسوار
لكنها لم تتننا الأسوار
تطلعي تري ظلالنا تهبّ كالرياح
إلى خنادق الكفاح
تسلقت ظلالنا القضبان والأسوار
ظلالنا الشاهرة السلاح
ظلالنا تقاتل الغزاه
والصوت ما يزال
صوت المقاتل العنيد ما يزال
يهبّ في المدينة العنيدة النضال
فتزهر الرجال في الأنقاض والدروب
وتومض الأنفاس في الصدور
وينبض السلاح من جديد
في يد المقاتل الشهيد
وتشهر النيران في النوافذ المكسورة الزجاج
قبضاتها لتلهب الغزاه
وتعصف الرياح كالمدى
تسمّر الغزاه
على مسالك الدروب
وفي مدينتي التي تهزّها
عواصف الكفاح
تهزّها من الجذور
مدينتي التي نهارها رصاص
وليلها رصاص
وأرضها التي تعضّ في خطى الغزاه
الصوت ما يزال
صوت المقاتل العنيد ما يزال
يرنّ في المعسكرات والتلال
وفي خطى النساء والأطفال والرجال
إلى الأمام ، والسلام يا ابتسامة الكفاح
إلى الأمام ، والسلام يا يدا بلا سلاح
إلى الأمام ، والسلام يا رصاصة تطيش
من رعدة الحقد على الوحوش
إلى الأمام ، والسلام يا رصاصة تصيب
سلامنا لخندق يشمخ بالمتراس
سلامنا لخندق عار بلا متراس
سلامنا إليك يا فراشة,
قد رفرفت على غزال
ومن حموا إشراقة النضال
ومن حموا جمال

وأقبلوا عليك بابتسامة السلام والسلاح
وبابتسامة الكفاح

البداية

المتاريس

قد أقبلوا فلا مساومه
المجد للمقاومه
لراية الإصرار شاهقه
للموجة الحمراء من صيحاتنا المعلقه
على الشوارع الممزقه
ولليد المكبله
ولليد الطليقة المناضله
المد للجريح والمتقوب قلبه وللمطارد
مدينتي ! قد أقبلوا ليلا من الأظفار والخناجر
وكننت نجمة تقاثل
أضواؤها العريانة السلاسل
وكانت الذئاب تقتفي خطى الجداول
وكننت ماردا من السنابل
يداه منجلان والجراد زاحف قوافل
يريد أن يجرّ للطاحون مارد السنابل

مدينتي يا أدمع البركان قد جرت مشاعل
ويا ابتسامة الزلازل
مطبوعة سيفاً على جبين شعبي المكافح
مدينتي زنبقة خضراء لم تنم على سرير فاتح
ولم تصبّ الزيت في مصباح خائن
رموشه بساط كلّ مقبل ورائح
من صانعي المذابح
ولم تهب ضفيرة أسلاك معتقل
ولم تقبل سوط طاغيه
كجاريه
مدينتي ! رأيت كيف تنسج الأمل
خطى حبيبك البطل
وكيف قد نشرت من دمائك الشراع
يمخر الحرائق
النار لا تمسه ولا الصواعق
ولا الرصاص طائرا حصى من البنادق
مدينتي ! واحسرة الفيثارة الخرساء
للغناء والبلابل
تشدو إلى الأبطال ، واعذاب شاعر
في السلاسل
وأنت في السلاسل
ولم تكن تناضل

غير الحروف من شريانه جرت قصائد

مدينتي ! وأيّ رعدة تهزني وأيّ عاصف!!
من ذكرياتك العواصف
من ذكريات السجن والسجان والأبطال والمعارك!
وخائن تهالك
وفوق صرخة القتل
والمعدّيين في انتظار
الموت سار,
وحشا يشدّ للرّحى السوداء,
كي تدور تطحن الدماء
يداه حبلا كلّ خائق
عيناه شبّاكان للعدوّ منهما أطلّ بالبنادق
على الخيام والمنازل
يصيد إخوتي
أبناء شعبي البواسل

الآن يرفع الستار يا مدينتي عن المجازر
عن وجه كلّ ثائر
عن الرياح كيف أصبحت تحارب
راية العدوّ في فضائنا مسنونة المخالب
وكيف قد هوت كحيّة
تعضّ في جراحها السواكب
عن اسمك المهيب يا جمال,
كيف ينسج الغرائب
والمعجزات والعجائب
وكيف كان شمسنا الخضراء في الدياجر
ووردة حمراء في ضفائر
أختي ، وفي شبّاكها سرّبا من البلايل
وكيف كان بور سعيد
صخرة من اللهب ، غابة من السواعد
يا فارس الفوارس
صغنا لك الجواد من صباحنا
وشعبنا أهداك ببيرق البيارق
خضنا به الرصاص
موجة من الزنايق
والنار موجة من النسائم
وكانت القيود في المعاصم
كعكبوت في جنون جوعها
رمت خيوطها على العواصف
وفتح الإصرار زهرة
صدّاحة البراعم
وعضّ في جراحه العدو ، والمتراس شاهق

وبورسعيد بندقية البنادق
وخذق الخنادق
شمس من الجراح قد تسمّرت في الليل
فوق جبهة المحارب
يا بورسعيد.. الفجر طالع,
هذا صياح الديك يوقظ الرصاص في البنادق
والرياح في الحرائق
وأوشك الصباح أن يمسّ راية المحارب
يا بور سعيد ليس روحك الوهاج,
وحده يقاتل
ولا مدينتي وحيدة تقاتل
لك الشعوب رفرفت بنادق
وسرّجت لك البحار والسحائب
وصرخة الأحجار حجّرت
رصاص نيرانه فلم تعد قواطع
أنيابها القواطع
وفي عيونه تسمّر الدخان كالحصى,
كالشوك كالأظافر

مدينتي تطلعت إلى الجراد وهو راحل
فرفرفت بها الشوارع
مدينتي تحبّ,
آه يا سليلة الأصداف
يا زيتونة الأمواج
يا حورية الخنادق
يا وردة الورد في حديقة الحدائق
يا نجمة مجنّحة
يا زهرة مسلّحة
من قال إنّ الفارس الحبيب مات في الطريق
فجاء راكبا جواده
ولابساً دروعه صديق
كي - يا حبيبي - ترمي بخاتم الحبيب
في خوذة الغريب
ولست يا مدينتي غمدا لكلّ سيف
كرمة لكلّ قاطف
قيثارة لكلّ عازف
فلن تكوني غير شعب قد توهجت
خطاه خلف قائد
مزغرد الجراح صامد
مدينتي ! عروس شعبي التي تغار
من إكليلها العرائس
قد أقبلوا فياللق
الحيّة الرقطاء والحمامة البيضاء

والغريان والعنادل..
وجاء اصدقاؤك الهنود بالمغازل
ومن على أكتافهم ترفرف المطارق الحمراء والمناجل
وتضحك السنابل
من لم تيلّ خبزهم دماء تائر
وجاءك الذين خبأوا القيود
في الخوذات والبيارق
وفي معاطف من الزجاج,
طرّرت بأعين الثعالب
الحالمين بالحرائق
بغاية من المشانق
الطامعين أن تكوني حانة ومخدعا وقنطره
وأن تكوني يا مدينتي مؤامره
وأن يكفّ القلب عن خفوقه إلى جمال
وأن تموت في الوحول راية النضال

إليك عن أجفاننا الخضراء
يا أحلام زارعي الجرائم
وناصبي الخيام للمآتم
وأقبلي وفي ظلام القحط
مشعلا من السنابل
ورفرفي على رمالنا جداول
تقدّمي إلى الأمام بالغيار بالدماء
بالبيارق المغبّره
بالخوذة المعقره
بالبنديقية المزمجره
بأغنيات النصر كالبرا عم المتّوره..
تقدّمي بكلّ ما قد ألبستك أمك الحرية المظفره
في بور سعيد في المدينة الملوّحه
بزهرة انتصارنا على المدى مفتّحه..
تقدّمي يا - مصرنا - المجتّحه
حمامة مسلّحه..
تقدّمي ، ففي الطريق ماردا
قد أطلقتها من أحشائها العواصف
ومن يقلّ عثار ماردا
كبت به الجراح غير ماردا...
فليحتشد فلاحنا الهمام بالمحراث والشراشر
وليأت كلّ غائب
ليأت عامل النسيج والمشرّد الطريد
والجائع المسافر الذي غدا خبز الطريق
ليأت صيادوك يا أمواجنا المهجورة الهوادر
ليقطفوا ثمارك النواضر
الآن في سماننا أسراب أنجم الشعوب

تزرع السلاح والسنايل
فلنرم إخواني البواسل
شباكنا على السلاسل

يا إخواني وطائر الحصاد
لا يبرح الأسلاك والحدود
رغم غزوة الجراد والرماد
وأنه من غير زاد
ورغم ألف ليلة وليلة من السهاد
في الصباح حينما جرت ، جداول الصباح
أبصرته مؤرد الجناح
في عنفوان سكرة الأحلام
...إنّ ماردا من صلب بور سعيد
من صلب بندقية سورية على الحدود
يحمّله في هودج من السنايل
وأنّ ألف ألف ماردا
يشيّدون حوله وهم يغردون
قصرًا من السنايل
وأنّ منها ماردا قد طار ثم عاد
من معسكر الجياع
من الخيام
الراعشات في مشانق الظلام
قد طار ثم عاد
على الجناح
هودج الفلاح
لعرشك المجيد يا أخي المجيد
يا سلطان..
ففي الركاب ألف ألف شمعدان
و ألف ألف صولجان

هذا الذي رآه طائر الأمل
أوحى له بأن يطير في الصباح
لخيمة الفلاح
وأن يقول ما رأى...
يا إخواني فلنفرد الخطى
على الطريق أشرعه
ولنمخر الحدود
الدرب لا تقل طويل
وزادنا قليل
قتدينا بلا قتيل
فخبزنا من موسم السنايل الجديد
ومن بعيد
ترفرق الميناء

حمامة بيضاء
في منقارها غصن من الضياء

البداية

المخلص الكذاب المستر جون فوستر دلاس

على صليب
من ورق الزيتون
تمدد المخلص الكذاب
كالغراب
على بساط نور
"ابكين يا جوارى"
"بأدمع الحوارى"
يا كل فرسان الوحول
حوطوا عجل الذهب
من قبل في عشائه الأخير
قال لن يخونني منكم أحد
يا إخوتي لحمي لكم قرص عسل
خمر دمي لكم كفرحة الحياة
كذابتان
عيناه تغمضان
المخلص الكذاب قام
كسارق بين النيام
بخنجر من اللهب
قد راح يقطع المسعور
لحم إخوتي خبز بنادق
دماء إخوتي بها يسقي المشانق

البداية

المهاجرون

أخي في الكفاح أخي في العذاب
أسمع مثلي عواء الذئاب
تفرّع أطفالنا النائمين
وتنذر أحلامهم بالخراب
ويفتح أعينهم في الظلام دوي الرصاص ولمع الحراب
وتخفق صرخاتهم كالنجوم إذا خنقتها حبال السحاب
ولكنه سوف يأتي الصباح ويكسر أبواب هذا الضباب
يضيء لنا أرض آبائنا
وأرض طفولتنا والشباب
فتورق آمالنا كالغصون وكانت جذورا بيطن التراب
فقم وادع مثلي ليوم الخلاص وميلاد تلك الأمانى العذاب
وإن قيدوك وإن عدبوك وإن هدّدوك بشر العقاب
فلا تستكن يا ابن هذا التراب أمام وحوش الحياة الغضاب
بل اغرس قيودك في صدرها

كما غرست فيك ظفرا وناب
وإن وراءك شعبا يصيح وإن أمامك فجرا مذااب
أخي يا ابن هذا التراب الحزين أسمع مثلي أنين التراب
وقد ملأته جيوش العراة أسارى الرغيف سكارى العذاب
يشدهم الغاصب المستبد كما شدت العنكبوت الدباب
يخدرهم بفتات الرغيف ويسكرهم ببقايا الشراب
ويسكنهم هاويات الخيام ويلبسهم باليات الثياب
طريقهم ملأتها القبور ورتت بها ضحكات الغراب
ولكن خلف دجاها الكئيب تطل نوافذهم والقباب
وهم يرفعون إليها العيون ولا يملكون إليها الذهب
وهم والليالي تنسى الغريب وتلقي على الذكريات الحجاب
مضوا يحفرون بدمع العيون ودمع القلوب طريق الإياب

البداية

بلابل الدموع

الانتظار

بلا رسالة ولا حبيبة ولا قطار

والنهار

ممدد معي على الأسوار

وقلبي المغروس في السحاب

بلا ثمار

كنحلة في قفص الأشواك

تدمي إلى الفكك

وحولها الظلال

في مندبها الزهور

على شفاهها المخضبات بالعبير

براعم القبل

بلابل الدموع يا بلابل الدموع

عيناى أطلقتاك في الإعصار

بلا رجاء

أن تنفذي من قفص الإعصار

أن تسمعي غناء

قلبي المكبل الجريح

فلينثر الإعصار يا بلابل الدموع

قلوبك الخضراء

نسيم نور

على خدود

أبطالنا الذين يحضنون

وهم ممزقون

فرحة الحياة صاعقه

وعلى أمواج

جراح شعبي الخضبية الهدير

وعلى زجاج

شباك بيتنا الوحيد
ينتظر الشريد
أنا هنا في العزلة الخرساء
أوقد الشموع للمأساة
وأرسم الحنين لؤلؤه
على جبين الريح
متى من الصحراء
تطير بي أجنحة الينبوع
يا شعبي الذي يطير
على بساط الدموع
لخيمة الربيع

البداية

تاريخ

فمك المكبل بالحديد وفمي المكبل بالنشيد
صوتان للحريّة الحمراء في وطن العبيد
متكسّران تكسّر الأمواج فوق الزورق
متعاطما بحطامه وكأئه لم يغرق
قيدان في هذي الطريق يتطلّعان إلى الحريق
كالشاطيء الراسي يحاول سحبه نفس الغريق
متهافتان تهاقت الظمان فوق الجدول
متحصّنا بصخوره حصن الظلام بمشعل
عينان في سجن الخريف تتحرّقان إلى الحفيف
كتحرّق الحرّ المقيد للتّسيم وللرصيف
منذورتان إلى الربيع استيقظي وتحرّري
يا هذه الأزهار من غصن الدّجى المتحرّج
جرحان في خرق وطين لا يعرفان من السنين
غير السيّاط الراشحات حبالها بدم السجين
كحمامتين طريحتين على جدار مظلم
تتنفّسان نسائم الققص الملطّخ بالدم
شعبان في الوادي الخصيب شنقا بأمراس اللهب
وتطوّحا كتطوّح النّسمات في القفر الجديب
كشعاعتين رضيعتين على ذراعي كوكب
نزل السّحاب عليهما بالخنجر المتوثّب

البداية

جنازة الجلاد

إغسلوه بما جرى من دمائه فتراب العطاش أولى بمائه
وارجموا نعشه كما ترجم اليومة بالباقيات من أشلائه
وامنعوا الشمس أن تضيء على الخائن حتى في مهرجان فنائه
وإذا سارت الجنازة والنّجم مشيح عن ركبها بضياؤه
فاطردوا حافر القبور عن الأرض التي لطخت بوحل دمائه
واحرقوا الجيفة الخبيثة وامشوا وأطلوا بها على أبنائه

ولتكن كومة الرماد إلى الذئب فراشا وللغراب التائه
أيها الهالك الممدد في الكهف يلوك الطريح من أنفاسه
أنسييت الجلاّد لَمَّا تزل ترعش عنق المشنوق في أمراسه ؟
أنسييت الجلاّد لَمَّا تزل تسمع صوت الفناء من أجراسه ؟
والوحوّل التي شربت ألا تذكر يا من نقشت جدران كاسه
أنت ميّت إن لم تشر ثورة الريح وتهوي بسقفه وأساسه
وتعيد المنهوب من هذه الأرض التي تستغيث من أغراسه
فتدبّ الجياح تحرث بالكفّ تراها المحروم من أعراسه

البداية

أغنية إلى جبل النار

جبل النار
يا خيمة دم
في ربح الثورة منصوبه
ما زال وراء المتراس الثائر
ومن الوطن الهادر
وطن الزنبق
والأفق الأزرق
والأيدي المسنونة كالصخر الأحمر
في ليل الخنجر
في الليل الأصفر
من كلّ معسكر
يهديك ضحاياتنا قمصان الدم
والفجر الأحمر أنشوده
جبل النار
والصيحة في القلب
يا شعلة ورد
تتوهج في أشواقي
ويضيء شذاها القلب
فترفرف في عينيّ الدرب
وترفرف أصوات رفاق
أسراب رعود
في آفاقي
جبل النار
يا صوت الزيتون الأخضر
يا صوت " زيادين " الهدّار
يا ظلّ السيف على عنق الخائن
لبيك أضأت لك البيرق
وأنا في الدرب

البداية

إله أورشليم
لتنسني يميني

لتنسني عيون
حبيبتي
لينسني أخي
لينسني صديقي الوحيد
لينسني الكرى
على سرير سهاد
مثلما السلاح
في عنفوان المعركة
ينسى يد المحارب
ومثلما الناطور
ينسى على كرومه الثعالب
إذا نسيت
أنّ بين ثديي أرضنا ببيت
إله أورشليم
وأنّ من قطف
دمنا يعتصر
الشهد واللين
وخمرة السنين
لكي يعيش
ويفرخ الوحوش
وكي أشيد
من الدموع
جدار مبكى وكى أحيل
خيمتي مندبل
للعويل
على الذهاب
بلا إياب

لتنسني يميني
لتنسني عيون شعبي المغرّده
إذا نسيت
أن أغرس الطريق
لصدر بيّاراتنا وللكروم
سيفا من الجحيم
في عينيّ إله أورشليم

البداية

إلى عيني غزة في منتصف ليل الإحتلال الإسرائيلي
حينما أرسف بالأسوار في كلّ مساء
ولكم مرّ مساء مساء
ويحوم الليل كالتائر في منقاره خيط ضياء
لنجوم لا أراها في السماء
يفرد القلب جناحيه بعيدا ويطيّر

لبساتينك يا غزتي الخضراء في ليل الجحيم
ولجدرانك تغلي كالصدور
جرحوها بالرصاص
والمناشير عليها كالفناديل تقول
يا جدار المستحيل
خافقا في كل صدر ثقبوه
وهو شبّاكي الذي قد فتحوه
لأرى شعبي الذي لم يخضعوه
خافقا في شفتي من عدبوه
أحرقوه ليفوه
غير أنّ القلب خفاق ولكن لا يفوه
خافقا في ظلك الشامخ يا من طاردوه
وعلى درب لحدّ السيف قد راح يسير
كيف يكبو والجماهير أبوه
يدها في يده أتي يسير
ويهوذا ورنين الفضة الدّاجي الرهيب
قد مضت تنهش عيناه الدروب
واقف يحلم فيها بمسيح وصليب

غزتي أنا لم يصدأ دمي في الظلمات
فدمي النيران في قشّ الغزاة
وشرارات دمي في الريح طارت كلمات
كعصافيرك يا قوس قزح
أنت يا إكليل شعبي وهو يدمي في القيود
إننا سوف نعود
وعلى درب كألوانك يا قوس قزح
وستذرو الريح أشلاء الشبح

البداية

ارفعوا الأيدي عن أرض القناة

يا سهير
أنا في المنفى أغني للقطار
وأغني للمحطه
أي هزه
حينما تومض في عينيّ غزه
حينما تلمع أصوات الرفاق
حينما تنمو كغابه
من بروق ورياح
حينما يلمع برق الكلمات
كلمات من حديد
تطرق الباب الحديد
اطرقي يا قاهره
واطرفي يا غزتي

واطرقوا يا إخوتي
ولتضيء كلّ شبابيك القطار
بعيون كالتّجوم
بعيون العائدين
لمتاريس الكفاح
في بلادي وبلاد الآخرين
ولتكن كلّ الأيادي عائله

أيّ أيام عذاب
أن يكون الحلم دوري في الكفاح
وأنا أكتب دوري في الكفاح
وأنا أخشى الإطاله
في الرساله
وأنا أكتب من أجل القناه
وأنا أحذر من همس القلم
وخطى السجّان فوق الورقه
ويقلب القاهره
قصف رعد المطبعه
قصف رعد الكلمه
يا لمجد الكلمه
حينما تغدو عناقيد ضياء
في أيادي الشعراء

أيّ أيام عذاب
وهنا ظلّ سماء من حديد
وظلام في الظهيره
وسماء القاهره
السماء الظافره
بنجوم الدّم تزهو في النّهار
نجمه تومض من كلّ رصاصه
أطلقتها من يد التلّ الكبير
يد فلاح شهيد
لم تنزل تنبض في التلّ الكبير
نجمه من عرق الفلاح حقار القناه
دمه الأبيض والنازف من نبع الجبين
دمه الأبيض والنازف أمواه القناه
نجمه من كلّ فلاح وعامل
في العراق
رغم " نوري " والوثاق
نجمه من كلّ تانتر
في الجزائر
نجمه من كلّ أبناء السلام
فوق أسوار بكين

نجمة من كلّ شغيل على أرض لينين
نجمة من قلب عمّال المحطات البعيده
فردوا الرايات مثل الأجنحه
لن تمرّ الأسلحه
نجمة من قلب بكداش الصديق
نجمة من قلب عمّان المجاهد
أبو خالد
نجمة من كلّ جرح لم يضمّد
في بلادي لمشرّد
نجمة من ثغرك الزاهي النضير
يا سهير
يا سهير
وخطى المستعمرين
تفزع الأرض ضجيجا وجنون
تهدّد
تنوعدّ
بأساطيل ورق
عائمات
في وحول القرصنه
الأساطيل التي سارت بريح القنبله
وبريح السلب والنهب وإعصار السموم
وإلى السور العظيم
تضرب الشعب العظيم
وبأفيون حشته في القنابل
تفرض الوحل على الشعب العظيم
الأساطيل التي حطت على الهند الرحال
وكأعاصير جراد
تنهش الأرض وتمتصّ الحياه
الأساطيل التي بيضت السهل الكبير
بعظام الكادحين الأشقياء
الأساطيل التي جرّت شعوبا في المياه
خلفها وهي تسير
نحو أسواق الرقيق
وهم أجداد " روبنسون "
وهمو من ير عشون
مثل أغصان الشجر
وهمو من يبصرون
خلف صلبان اللهب
نجمة سبارتاكوس المشتعله
الأساطيل وما زالت شظايا القنبله
بدماء الشهداء الأبرياء
وهجا يلمع في موج ورمل اسكندريّه
وعلى أمواج بيروت الضحيّه

وهجا يصرخ لن تلقي الأيادي الهمجيه
بمراسيها على أرض القناه
فأرفعوا الأيدي عن أرض القناه
فبحار العالم المصطنخبه
لم تعد أمواجهاً للقرصنه
والأيادي العفنه
ليس هذا عصر توفيق الجبان
لا ولا عصر ديغول
مونتجومري والفلول
ليس هذا عصر نوري مندريس
عصر صيادي الرؤوس
عصر سقّاحي الشعوب القتله
عصر حرّاس كنوز القرصنه
ليس ذا عصر دالاس
الأب الوارث من صدر الوحوش
ما تبقى من نفس
إنه عصر جديد
عصر إنسان جديد
ولدته فوق أطلال " دين بين فو "
الخضاب
ابتسامات جياب
عصر باندونج وأعراس الأمل
عصر خبز وعسل
عصر أطفال الجزائر
عصر أطفال أم صابر
عصر رايات عرابي العائده
فوق أكتاف حمامه
عصر غابات الملايو اللامعه
وبومضات الرصاص
وبأنوار الخلاص

إنّه عصرك مفتوح الذراعين يسير
وينادي يا سهير
أنت لن تلعب أيامك في ظلّ المدافع
أنت لن تطغى على شذوك رنّات السلاسل
وانفجارات القنابل
فستتمين تحبين وتغدين عروس
وستنمو زهرة الحبّ وتكبر
عمرها تسعة أشهر
وستهدين إلى العالم طفله
أيّ طفله
هي لن تدرج في ظلّمة خيمه
لا ولن يجرحها سلك معسكر

فستتمو و على درب ربيع ومسير
وفلسطين ربيع ومصير
رسمته بالجناحين حمامه
حلم تحرسه كل الأيادي عائله
إنه عصرك مفتوح الذراعين يسير
وينادي يا سهير
إنه عصر يسير
وأنا أيضا أسير
ومع العصر الكبير
رغم عجزى وأنا أبني المصير
وأنادي يا سهير
وتنادين أخي
وبصوت كحفيف الأجنحه
وذراعي أخي مفتوحان
منذ عام وشهور
وهما تنتظران
وهما تشتعلان
كلما صقر في الليل قطار
كلما صاح مشرد
وهو يلقي و على منزلنا المطفا نظره
أي ثغره
في متاريس الكفاح
وكفى دقا بكعب البندقية
لشبابيك بيوت الأصدقاء
وأنا مثلك أغلي كلما مرّ قطار
وأنا ألعن عجزى كلما طار خبر
عن أياد صادات كالشراشر
طار دوها لتهاجر
ولكي تعرق في أرض غريبه
ولها أرض خصيبه
ورحيبه
وأنا ألعن عجزى
كلما طار خبر
عن يد خلف الحدود
أثقلت صدر المدينه
بدخان المحرقه
عن يد خلف الحدود
لم تزل تنهش في كنز عرق
لم تزل تنهش في كنز دماء
لرجال ونساء
في معسكر
ضربت قبضة أيار المعسكر
وأنا ألعن عجزى كلما هبّ ضياء

عن رجال شرفاء
وعلى أبواب غزّه
و يد خلف الحدود
ورنين القيد في كلّ رصاصه
أثقلت أصدائه أرض العراق
وهي لم تنقل أمواه القناه

أهنا معركتي خلف اللهب
أهنا أقتات خبزاً و غضب
ودروب المعركه
رحبه تحضن كلّ الخطوات
رحبة ليست تضيق
بصديق أو رفيق
بأيادينا التي تبني الصداقه
وعلى أنقاض أسلاك غريبه
بين شعبين على أرض خضيبه
وعدو يرتعش
وهو في رعشته يطلق أنفاساً أخيره
لرصاصات أخيره
لم يعد يملك زادا أو ذخيره
لم يعد يملك من أمر الحياه
غير أشلاء مياه
وهو يرميها على أرض القناه
وعلى كلّ مكان
قد غدا أرض القناه
وبلادي قد غدبت أرض القناه
أوتدرين عذابي يا سهير
وأنا أنهض في كلّ صباح
ويدي أيّ يد جرداء من غير سلاح
وهي لن تخضّر إلا بالكفاح
وهي لن تخضّر إلا فوق أرض المعركه
حينما تضرب جذراً من دماء
في تراب المعركع
أوتدرين عذابي يا سهير
وأنا أنهض في كلّ صباح
وبعينيّ شذى حلم الكفاح
أنا أمشي في دروب القاهره
تحت أقواس ربيع الكبرياء
بين أغراس الدماء
أحضن الأيدي التي تبني الضياء
أحضن الأيدي التي تحرس أمواه القناه
بالظلال الراعشات الساطعات
ولحقاري القناه

وهمو يستقبلون
وهمو يحتضنون
كلّ بحار على ظهر سفينه
لم يخزن مجد العرق
وهو وضاء على صدر القناه
صوته يلمع كالبرق بإصرار الحياه
إرفعوا الأيدي عن أرض القناه

البداية

استمعوا لي

استمعوا لي,
اسمعني يا وطني,
فالآن خريف الأغلال يولي,
والآن سأحرق ظلي
كي لا أتمدّد في ظلي,
صمتا ، صمتا ، يا حملة أبواق
-الخفاش الخشبي، -
يا أكلة قربان – العجل الذهبي-
صمتا ، ولترفع بيرقها
العاصفة السريّة ، والبرق السري,
ولتفرد أجنحة صليبك,
يا قلبي,
طر بي ، طر بي,
فهناك نافذة لم تصبغ
بالبرق الأسود في وطني,
نافذة تذكرني,
دالية تحلم بي
أن أقطفها,
أن تقطفني..
يا وطني ، من لي,
من لي,
وبجرة برق من سحبك,
وبكسرة رعد ؟
لو جمعوا كلّ الأنهار بكأسي
لصرخت ، وألقيت بنفسي
من عطشي لعيونك في الشمس

البداية

الأردن على الصليب

أنا مصلوب أغرّد
ولعمّان ونابلس وإربد
وإلى الليل الصديق
صار بيتا للمطارد

لم يحب شبّاكه طرقة كعب البندقية
وإلى شبّاك تائر
في جحيم " الجفر " مفتوح على أقواس نصر
وعلى فردوس فجر
ليس ما تبصر عيناك سراب
يا أخي المتقل بالأثمار في ريح الخريف
يا أخي البازغ في ليل العذاب
فالسراب
حلم سجّانك أن يجني من الأغلال أقراص العسل
وبأن بجلد بالقش أعاصير الأمل
وبأن يغرس حتى المقبض الخنجر في قبر " رجاء "
إنّ سجّانك ما كفّ العواء
طارقا أبوابك الخضر الشهيد
"إفتحوا يا أصدقائي الطيبين!"
"واللصوص الأربعون"
في حصان من ذهب
في تماثيل مآذن
خائن مرتعش يزحف في أعقاب خائن
يلدون العار في ضوء النهار
ويقيمون الصليب
سمّروا الشارع ما ضمت ذراعه ظلال اللقطاء
وبكفيه لقد دقوا السلاسل
غير أنّ الشارع المصلوب ما كفّ يقاتل
والمناشير تقاتل
ويد من " نقرة السلطان " " للجفر " تلوح:
"سيفتح"
"برعم الزلزال لا بدّ يفتح"
إيه يا أيتام " لورنس " و " شاها " قد ترعرع
تحت أقدام " أبي حنيك " ترعرع
يا ثعابين من الخوذة تظهر
كلّما الحاوي في " واشنطن " الشوهاء صقر
يا خفافيش بلا أجنحة ترفع رايات الجريمة
إمضغي جمر الهزيمة
فعلى أبواب عمّان أيدينا ترفرف
بأكاليل الدماء
ويدي صوت يرفرف
"يا أفاعي ..يا أفاعي"
"سنصبّ السمّ يغلي ، وعلى جحر الأفاعي"
"وسنمضي في الصراع"
"كشراع في رياح الدم نمضي كشراع"
"وسأمضي شامخ الصوت أغرد"
"والملايين تغرد"
"ولعمّان ونابلس وإربد"

الأغنية المعصوبة العينين

أين القمر المعصوب العينين يساق...؟
وسط السحب الفاغرة الأشداق,
أسوار تفتح وظلال عارية
تركض ، أبواب
تذبح خلف الأبواب,
الصرخة علم خفاق
الصرخة.. أوراق
تسقط من شجر اللحم,
غصون.. وثمار

يا وطني أين الأغنية تساق؟
خيط من دمك الخفاق يراق
من أجلك شلال مرايا صفر,
يتكسر في وجهي,
شلال مرايا سوداء,
من أجلك أقحم أسواري..
من أجلك أرحم بالنار..
من أجلك أحمل أغلامي
في منفى الأرض كجوال
من أجلك خبزي بدمائي..
معجون ، خبزي بدمائي
والوجه المشحوذ كنان
في ظلي غرز وأشعاري..

البيغاء والأفيون

البيغاء
طليقة بلا قفص
تنقر في الأفيون
وتشهر الجناح
كالسلاح
لكي تحارب البلاشفه
والعاصفه!!
البيغاء
في الليل والنهار
في غيبوبة اسطوانة تدور
منقارها يشير
كما أراد أن يشير
السيد الكبير
لنجمة البلاشفه!

فوق جبين العاصفه!
البيغاء في غيبوبة المصير
في نزعها الأخير
ترتجف
في مصفحه
البيغاء في الخريف
صوتها هرم
وريشها استحال
إلى رماد
والبيغاء حينما يذبل في منقارها الكلام
يا أيها الأقزام
ينبذها أسيادها الكبار في قفص
قضبانه خيوط عنكبوت
تنقر في الأفيون
حتى تموت..

البداية

البحار العائد من الشيطان المحتلة

لو أنّ يا حبيبتى أشعاري
تعيش كالزيتون كالأنهار..
لو أنّ يا حبيبتى الدوالي
في العام مرتين تثمر الدوالي
لو أنّ يا حبيبتى أشجاري
تعيش في بستان سندباد
تثمر الطيور كالأوراق
وتثمر الأطفال كالأثمار

لو أنّ يا حبيبتى ملاحى
يعود من جزيرة الرياح
يعود يرتمي على الضفاف
بالجرح والشرع والمجداف
في صدره عجائب البحار
يعود فوق ظهره شراعي
وسلة الهدير والثمار..
والعشب والأسماك والمحار
وحزمة من السحاب والرمال
من شطنا المشردّ الظلال..
يا عاصر الشراع في أقداحي
موجة قد أمسكت شراعي
من بحرنا كقطرة الشعاع
لم ترخه ومخلب الرياح
في قلبها ، يا عاصر الشراع
في قلبي العطشان في جراحي

لتبق قطرتين للمصباح

البداية

الخيوط الذي ينمو في الريح

كلّ الرايات المنفّية قد عادت،
يا وطني..
إلا رايتك المنفّية من أفق
ترتحل إلى أفق،
في سوق – لصوص الرايات، -
تباع بلا ثمن،
صاح – النحاس – تقدّم ، بالحنجرة الملعونة،
والحشوة بالخطب،
خذها لا تخجل
خذ راية وطني،
ما أرخصها بجناح من – ورق، -
أو سيف من خشب،
ضقر منها إكليلا من ريش
لتزيّن رأس – الديك الهرم-
الصائح في كلّ الأسطح
والراقد في كلّ السرر
لكن من يتبع في وطني ؟
خطوات السيف الخشبي ؟
من يلقي
سنبله واحدة في طاحون من ورق ؟
ألقوا بإكليل الرّيش،
وألقوا بالسيف الخشبي،
ما زال من الرّاية خيط،
ينمو في ريحك .. يا وطني

البداية

السجن الكبير

سيظلّ يحرسه العراق
سيظلّ يخفق في العراق
في ظلّ أقواس المشانق والرصاص
قلب المقاومة العنيدة ، والخلاص
جنبا إلى جنب يدقّ مع القلوب
في جبهة السّلم العريضة والشعوب
أترى إلى شعب العراق
يعدو بأشلاء الوثاق ؟
وعلى جواد من لهب
في أرض معركة الشعوب
أترى سنايكه الحّضيه
بدما مخالبك الرهيبه

هو ليس حلما ما ترى
أم أنت أعمى لا ترى
إلا كراتشي أنقره ؟
إلا كلاب المقبره
والأرجل المتكسره
أترى إلى فهد الشهيد
قد عاد يا نوري السعيد
قد عاد يركب مشنقه
أولم يعذك بمشنقه
من صنع أيدي الكادحين
وجميع صرعى حكمك الدّموي عادوا يركبون
ظهر المشانق والبنادق والسلاسل والسجون
أحسبتهم قتلوا كما دبّرت ذلك في الخفاء ؟
لكنهم عادوا ودلّ عليهم زهر الدماء
يهدونه الشعب الذي وقفت قواه بلا ركوع
وبلا فرار أو رجوع
في وجه ما أسميته حلف الدفاع
وهو الخيانة والضياع
وهو المرور بلا انقطاع
من تحت أقواس السجون
ولكي يظلّ النفط يدفق في فم المستعمرين
ولكي تظلّ وبالسياط تهزّ للمستثمرين
أثمار أيدي الكادحين وإنّ أيديهم غصون
أنا لا أقول بأنّ إمضاء الرصاص على الصدور
أنا لا أقول بأنّ إمضاء السياط على الظهر
هو ليس إمضاء الذين وراء ظهرك يا أجير
ولكي يمرّ الحلف مختالا على ظهر القبور
لكنه كذب وتزوير إذا قلت العراق
أو أنّ فلاحى وعمال العراق
أو أرضهم وسماءهم ذات النجوم من الدماء
قد طوّقوا أو طوّقت أوطانهم بالسلسلة
وغدوا عبيد القنبله
بل أنّ صدرك وحده هو موطن الحلف الطريد
وهو القواعد والخنادق والمعسكر للجنود
فيا عدوّ المطبعه
وعدّو أشواق الورق
وإلى حروف المطبعه
إن كنت صادرت الورق
فلسوف نطبع بالعرق
فوق الأيدي والجباه
منشور حبّ للحياه
فانشر لصوصك في البلاد
ليصادروا

كلّ الأيادي والجباه
لنصفّ يا نوري الحساب
فليسمع المتآمرون بلا التواء
هذا الكلام من الدماء
لو يجروون ويدخلون
فسيركض الدم في الدروب
معلّقا نيرانه
فليقرأوا نيرانه

فستستحيل إلى سيوف ، كلّ أغصان السلام
ولطائرات قاصفات كلّ أسراب الحمام
وستقفز القضبان غضبي من زنازين السجون
وستستحيل إلى سواعد تضرب المتسللين
ومن الجراح النابضات الفاغره
أفواها لقواكم المتآمروه
سنقيم متراسا ونحفر خندقا للمعركه
ونمدّ أسلاكنا من الدم شاهقات شائكه
وفم الدم الغالي يسيل وقد تعانقت الخنادق
لن تحلبوا إلا أيادي من حديد من حرائق
إني ألوح بالقيود إليك يا نوري السعيد
أنا في عذاب لن تمرّ به فتدرك ما أريد
أنا في عذاب واشتعال في صعود في امتداد
هو ليس من تشريد عائلتي وفي شتى البلاد
هو ليس من شوقي وليس من الحنين إلى الرفاق
لكن لأني لست في أرض العراق مع العراق
أو في الشوارع أينما كان انفجار وانطلاق
أبدأت تعرف ما المصير وما الجريمة والعقاب ؟
أبدأت تلمح ذلك الشرر المهدّد في الضباب ؟
وإلى ضحايا الحلف سوط الإضطهاد والاعتصاب
تمتدّ أيديهم دما ولظى ومن تحت التراب
أبدأت تحصي إرث ما سجنت وما اغتالت يداك ؟
إرث المشانق والمذابح والمنافي والهلاك
ولكي يقسم بين أعداء الشعوب قذى وعار
أبدأت تحزم في الحقائب أين أزمعت الفرار
ويد الجماهير العريضة في الطريق وكالجدار
أين المفزّ فلا طريق إلى القطار أو المطار